وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـــامعـــة المـــديـــة

كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم اللغة العربية

الموضوع:

الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن الكريم

عند عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) أنموذج

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في الأدب العربي

من إعداد الطالبين

محمد نعمي

بلقاسم بن نعيجة

تحت إشراف الأستاذة

فيروز بن رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

كـتـَابٌ

فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

صدق الله العظيم

﴿سورة فصلت /
الآيـــة 3 ﴾

الإهـــــــــــــــــــــــــداء

- أهدي ثمرة هذا الجهد إلى :

- روح كل من العالمين البشير الإبراهيمي ومالك بن نبي، والشهيدين محفوظ نحناح ومحمد أبو سليماني .
- والدتي الغالية التي رسمت طريق الحب والعطاء، أطال الله في عمرها، والبسها لباس الصحة والعافية.
- والدي العزيز الذي علمني حب الحرف، وغرس في قلبي حب الكلمة، ونقش في فؤادي حب العلم. والتعلم ، أمد الله في عمره للخير والبر.
- إلى زوجتي (أم صلاح الدين).
- فلذات كبدي وقرة عيني أولادي [صلاح الدين ، عائشة ، أنفال ، محمد ياسين].
- أخواتي الأعزاء [كمال،سعيدة، فاطمة، عبد القادر، نورة, أحمد، إبراهيم،خديجة، الحاج].
- كل أساتذتي الأعزاء على بذلهم وعطائهم.

- معهد الأدب العربي ، بالمدية.
- رئيس قسم الأدب العربي
- الجزائر الحبيبة الآمنة أرض المليون ونصف المليون شهيد.
- الأستاذ أحمد فجر و رضا حيرش وزيان كشيدة ومصطفى كلوشي وعادل آتشي ومروان يونسي ، وبن عمير أحمد ,محمد بن رمضان, الشيخ امحمد بن عاليه ,خيرالدين بن عيسى و كل زملاء الدفعه.
- كل من ساندني بالجهد والدعاء وقدم لي النصح والمشورة إليهم جميعا أهدي لهم هذا العمل

محمد نعمي

الإهـــــــــــــــــــــــــــــــداء

اللّهم لك الحمد و لك الشّكر، و لك الفضل في التّوفيق و الهداية ،

حمدا كثيرا يليق بمقامك الكريم.

نحمدك اللّهم أنت الفاعل المختار لكلّ مفعول من الكائنات والآثار.

ونشكرك على مزيد نعمك ومضاعف جودك وكرمك.

هذا العمل هو ثمرة جهد للسّنين الأربع التي أمضيت فيها أحلى الأيام وتعرفت فيها على ما جهلته سابقا. وعبر عملي هذا أزف أجمل ما تحمله عبارات الود والإخاء والمحبة، إلى كل الزّملاء والأصدقاء الذين كانوا في درب وفاق وسند في مسيرتي الطّويلة. وأخصّ بالذّكر : محمد نعمي، لخضر صيفي، عبد القادر قليليب، عبد العزيز، عبد الغني.

كما أتقدم بالشّكر الجزيل إلى المشرفة الكريمة: الأستاذة فيروز بن رمضان التي كان لها الفضل في توجيهنا المسار الحسن.

وإلى كل أساتذة قسم الأدب العربي بجامعة الدكتور يحيى فارس– المدية - .

وإلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد أتقدم بالشّكر الجزيل أيضا وفاء مني وعرفانا بالمجهودات الجبارة في تقديم توجيهاتهم لنا . وأخص بالذكر الأساتذة : بن علية عبد السلام، بلخير د راجي، بن عطية، مقران.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا ويسدد خطانا ويهدينا الصراط المستقيم.

بلقاسم بن نعيجة

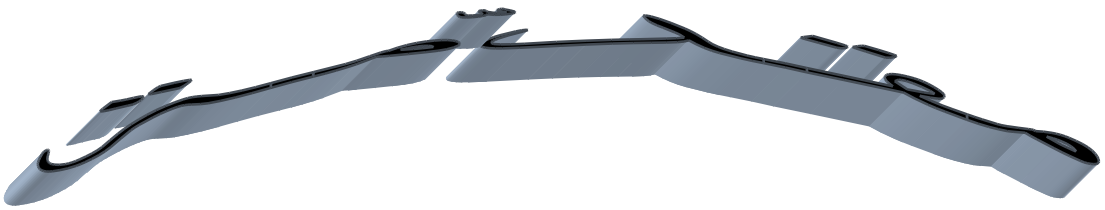

المقدمة:

الحمد لله الذي علّم القرآن، وخ علّمه البيان، والصلاة والسلام على أكرم مبعوث وأعرب من نطق بالبيان، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته نجوم الفرقان، ومن تبعهم إلى يوم الدّين بإحسان.

لقد كان القرآن الكريم ولا يزال إلى يومنا هذا قبلة للعلماء والباحثين المسلمين الذين استقوا دراساتهم من على حسب تخصصاتهم في : "نحو، إعجاز، قراءات، وتفسير" ومن ضمن هذه الاختصاصات "التفسير" الذي أردنا أن يكون موضوع بحثنا، فكان أن درسنا الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن الكريم، لما للتفسير من علاقة وطيدة باللغة.

ولعل الحديث عن هذا الاتجاه اللغوي وعلاقته بتفسير القرآن الكريم، يتطلب معرفة واسعة ومعمقة ضاربة في جذور الدراسات اللغوية القديمة، ومواكبة ل لاتجاهات المعاصرة، كما يتطلب ذلك إلماما شاملا بجميع الجوانب التي يتضمنها هذا الاتجاه (البلاغة – النحو – الصرف – القراءات – الجانب الصوتي.....إلخ).

وقد آثرنا هذا الموضوع محاولين التعمق فيه، ومعرفة مكنوناته، رغم ما فيه من تشعبات جعلت منه صعب التحديد، لكن هذا لم يمنع من أن ندرج بعض القضايا التي تمس من قريب هذا الموضوع.

ولكن تحدد الإطار العام لبحثنا الذي هو الإجابة الشافية والكافية للتساؤل التالي:

- أين يتجلى الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن الكريم؟

- ومن هم أعلام هذا الاتجاه من القدماء والمحدثين؟

فكان جوابنا على هذا السؤال هو جوهر بحثنا هذا، وقد انتهجنا منهج المطلع الواصف، حيث ارتأينا أن نقسم بحثنا على النحو التالي: مدخل فصول.. خاتمة.

تناولنا في المدخل : علاقة القرآن الكريم باللغه العربية ودورها في تفسير ألفاظه.

أما الفصل الأول فجعلناه تعريفا شاملا للمنهاج الرباني والكتاب القرآني لما له من أهمية عظمى في رسم معالم الحياة ومسالكها.

فتطرقنا في البداية إلى تعريفه لغة واصطلاحا، وتحدثنا عن بعض المواضيع الهامة المرتبطة : كأوله وآخره، والقراءات القرآنية ، والأحرف السبعة، وبعض صور الإعجاز القرآني.

أما فيما يخص الفصل الثاني فقد كان بمثابة دراسة تطبيقية لأهم ما جاء حول الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن الكريم ، وفيه تطرقنا إلى النقاط التالية: معاني ألفاظ القرآن الكريم وإعرابه بالإضافة إلى النحو والبلاغة فيه .

أما الفصل الثالث فقد خصصناه لعلم التفسير ومحاولة الإلمام به كعلم مستقل بذاته وله قواعده وعلماؤه ، ومن أجل ذلك أعطيناه ما يلزمه من اهتمام ، فتعرضنا في البداية إلى تعريف هذا العلم وأهم أنواعه التي انبثقت عنه والاتجاهات التي سرحت في متاهاته لمعرفة خباياه ومعانيه، وأهم القائمين عن ذلك من المفسرين العلماء الأجلاء.

أما الفصل الرابع والأهم في بحثنا خصصناه للأنموذج المختار في الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن الكريم وهو أنموذج التفسير البياني عند عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) وكان من المهم إعطاؤه أكبر فرصة من الإحاطة بجوانبه المهمة التي لها علاقة بالموضوع بداية بتعريف صاحبه هذا الاتجاه وبعض المحطات عن صفاتها الأدبية . بعد ذلك عمدنا إلى شرح منهجها وتقديم بعض النماذج التطبيقية التي قامت بها في هذا الميدان.

ومن الصعوبات التي واجهتنا أننا لم لمة حول أعمال د. عائشة عبد الرحمان ، بل كانت إشارات في كتب ومجلات ومواقع ، بالإضافة إلى ظروف شخصية قاهرة ، وعامل الزمن الذي كان حاجزا آخر الذي منعنا من إعطاء الموضوع حقه، و لم يكن لهذا البحث أن يمتلك عوامل كينونته لولا رعاية الله عز وجل ثم رعاية الأستاذة المشرفة على ما أولتنا به من رعاية علمية، وعلى ما أمدتنا به من توجيهات وخصتنا به من ملاحظات، ثم على تشجيعها لنا على ضرورة المضي قدما في إنجاز البحث رغم الظروف السابقة التي صادفتنا.

و في الأخير لا يسعنا إلا أن نقول أن بحثنا هذا ما هو إلا قطرة من بحر الدراسات القرآنية, فكان بهذا أن جاء متواضعا, ولا يمكننا الجزم بأنه ملم بكل جوانب الموضوع.

فإن أخطأن فمن الشيطان و أنفسنا, و إن أصبنا فمن الله عليه توكلنا و إليه أنبنا.

المدخل:

تمهيد: فضل القرآن الكريم

يعتبر القرآن الكريم الكتاب الأول للغة العربية فهو بمثابة وفصاحتها ومصدر قوتها. ولهذا شرفت اللغة العربية بجمل معاني هذا الكتاب كامه الجليلة لما لها من خصائص وميزات، فقد خصها الله بهذا الفضل دون سائر اللغات ومن هنا فليس من الغريب أن ينشأ الدرس اللغوي في رحاب هذا النص الديني، بفهم مقاصده الجليلة. فالقرآن الكريم هو رسالة لغوية كما هو رسالة دينية.

كما كان لهذا القرآن كل الفضل في توحيد لهجات هذه اللغة على اختلافها، فهو بحق الحصن المنيع الذي حفظها من صروف الزمن، وسيظل يحفظها إلى آخر الدهر.

إن القرآن الكريم هو مصدر التشريع الأول للأمة المحمدية، وعلى معناه ومعرفة أسراره، والعمل بما فيه تتوقف سعادتها، ولا يستوي الناس جميعا في فهم ألفاظه وعباراته، مع وضوح بيانه، وتفصيل آياته، فإن تفاوت الإدراك بينهم أمر لا فيه. فالعامي يدرك من المعاني ظاهرها، ومن الآيات مجملها، ولكن المتعلم يستخرج منها المعنى الرائع . وبين هذا وذاك مراتب فهم شتى، فلا أنه يجد القرآن من أبناء أمته اهتماما بالغا في البداية لتفسير غريب أو تأويل مركب1

ويعتبر بحق القرآن الكريم وعاء اللغة العربية التي هي لغة أصيلة ، وقد تأهبت لتلقى هذا القرآن المجيد، وشرفت به أيما تشريف، ولما تحمله هذه اللغة من قوة تؤهلها لأن تستقبله بجلال بيانه، وروعة أساليبه، فقد وجدت نفسها في حقله تؤتي نباتا حسنا أكله في كل عصر تحت ظلاله.2

وقد جاء اقتران هذا القرآن بالعربية في كثير من الآيات منها قوله تعالى:

" كتاب فصّلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون" فصلت : 03

" وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين " الشعراء / 192 – 193 .

هذه الآيات دلائل على أن الله تعالى جعل اللغة العربية لغة القرآن، إذ لها ارتباط وثيق بنزوله 3 و لم تتطور اللغة العربية في ظلال القرآن إلا بعد عوامل متفاعلة:

- نزول معظم القرآن الكريم باللهجة القرشية.

---

[1] مباحث في علوم القرآن – مؤسسة الرسالة ط2 – 1419هـ 1998م – ص 323.

[2] عبد العالي سالم مكرم – اللغة العربية في رحاب القرآن – ط2 - 1995 ص 03 .

[3] أنور الجفري – الفصحى لغة القرآن – دار الكتاب اللبناني – ص 30-31 .

- عمل القرآن الكريم منذ نزوله على تهذيب اللغة العربية.

- نشأة قواعد اللغة العربية وتطورها.

- نشأة النحو العربي والحفاظ على القرآن الكريم في أساليبه و تعابيره وتراكيبه.

وهذا ما وجدناه في العصر الإسلامي الأول، عيث قام أبو الأسود الدؤلي بتنقيط المصحف تنقيط إعراب، حتى يحميه من العامية والعجمية ، وحتى لا تنحرف الألسنة على المنهج الصحيح أثناء قراءته، كما قام بوضع الجذور الأولى لنشأة النحو العربي، فقد أثبتت الدراسات اللغوية أن سبب نشوء اللغة العربية وتبلورها هو القرآن الكريم. فهو المرجع الأول والأساس لها، كما يرجع الفضل له في نشوء علم القراءات الذي كانت له صلة وثيقة بالنحو.

ومما يؤكده هذا أن كثيرا من الباحثين فصلوا في تأريخ الدرس اللغوي عند العرب [1] وخاصة عند تعرضهم لتاريخ النحو، وهم يرجعون نشأة هذا الدرس إلى انتشار اللحن نتيجة دخول شعوب غير عربية في الإسلام، أي أن الدرس اللغوي نشأ لحفظ القرآن من اللحن.

وذلك صواب لا شك فيه، لكنه صواب غير كامل أو هو صواب لم يلتمس السبب الأهم في نشأة هذا الدرس وتطوره.

صحيح لقد كان حفظ القرآن من اللحن سبب من الأسباب، لكن لم يكن السبب الأول، و لم تكن الغاية من الدراسة. والسبب الحقيقي فيما يراه الدكتور عبده الراجحي لنشأة علوم اللغة عند العرب. إنما هو السعي لفهم النص القرآني باعتباره مناط الأحكام التي تنظم الحياة، وفرق كبير بين علم يسعى لفهم النص وعلم يسعى لحفظه من اللحن، واو كانت الغبية عند حفظ النص من اللحن لما أنتج العرب هذه الثروة الضخمة في جمال الدرس اللغوي، ومحاولة الفهم هذه هي التي حددت مسار المنهج لأنها ربطت درس اللغة بكل المحاولات الأخرى التي تسعى لفهم النص.

[1] د . عيده الراجحي – فقه اللغة في الكتب العربية – دار النهضة العربية – بيروت. لبنان – ص34.35 .

ولا نكاد نجد كتابا في التفسير إلا في مقدمته بيان ما ينبغي على دارس – أي من هذه العلوم– أن يمتلك من أدوات الدرس وأولها : علوم العربية، كما أننا لا نكاد نجد كتابا من كتب اللغة إلا وفيه تنبيه على الصلة بين درس اللغة والقرآن الكريم، يقول السيوطي في [المزهر] "ولا شك أن علم اللغة في الدين، لأنه من فروض الكفايات وبه تعرف معاني ألفاظ القرآن والسنة ". وقال أبو بكر بن الأنباري في كتاب [الوقف والابتداء] سنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة" [1]

وقال الفرابي [ديوان الأدب] : "القرآن الكريم كلام الله وتنزيله ، فصل فيه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، عما يأتون ويذرون، ولا سبيل إلى عمله وإدراك معانيه إلا بالتبحر في علم اللغة".

ولما كان لهذه اللغة العربية علاقة وثيقة بالقرآن الكريم فلا جرم أن يعتمد في تفسيره عليها، وهنا يبرز الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن الكريم. فهذا التوجه استخدمت فيه كل علوم اللغة العربية التي توصل إليها المسلون وقدمته العقلية الإسلامية، التي هيئت جميعها لخدمة النص القرآني.

على هذا نجد العلماء المسلمين قد توقفوا أمام النص محاولين فهمه والتوصل إلى معانيه، وهذا لا يتأنى إلا بدراسة اللغة العربية التي نزل بها، بذبك وجدنا علوما لغوية كثيرة نشأن في رحابه، متخذة من آياته الكريمة نقطة الانطلاق، ومن بينها معرفة معاني ألفاظه وإعرابه وقراءته وسواها من العلوم اللغوية.

[1] السيوطي– المزهر في علوم اللغة وأنواعها– علي محمد البجاوي– المكتبة العصرية– بيروت ج/2 302 .

الفصل الأول
القرآن الكريم

1.1 تعريفه

2.1 أوله وآخره

3.1 القراءات القرآنية

4.1 أشهر القراء

الفصل الأول

القرآن الكريم

1-1_ تعريفه:

✓ **لغة:**

معنى لفظ "قرآن" فهو مرادف لمعنى القراءة. ذلك أن "قرأ" تأتي بمعنى "جمع". والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، والقرآن في الأصل كالقراءة، مصدر قرأ قراءة وقرآنا. قال تعالى" أي قراءته .

✓ **اصطلاحا:**

"هو كلام الله المعجز، المترّل على خاتم الأنبياء والمرسلين، بوساطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المحفوظ في الصدور، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبّد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس".

هذا التعريف متفق عليه بين العلماء والأصوليين.

ولكتاب الله أسماء عدّة منها: القرآن، والفرقان، والكتاب، والذكر، والتتريل.

وقد وصفه الله بأوصاف كثيرة منها: أنه نور ، وهدى، ورحمة، وشفاء، وكريم، ومبين، وموعظة، ومبارك، وبشرى، وبشير، ونذير، وعزيز.

1-2_ أوله وآخره:

أول ما نزل من القرآن الكريم: الآيات الأولى من سورة العلق كما مر في حديث البخاري,و أما أول سورة كاملة فهي المدثر لما في الصحيحين عن حديث جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو يتحدث عن فترة الوحي فقال :

«بينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بجراء جالس على كرسي بين السماء و الأرض فرجعت فقلت :(زملوني ....) فأنزل الله تعالى سورة المدثر».

كان ذلك في السابع عشر من رمضان لأربعين سنة خلت من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ويوافق هذا التاريخ السنة الثالثة عشر قبل الهجرة. كما يوافق شهر آب سنة عشر وستمائة للميلاد (610م) .

أما آخر ما نزل من القرآن الكريم فهو قوله تعالى:

وهذا هو الصحيح الذي اختاره العلماء وعلى رأسهم السيوطي وهو منقول عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وقد عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليال ثم مات ليلة الاثنين في الثالث من ربيع الأول.

وأما قول بعض العلماء: أنه آخر ما نزل قوله تعالى:

هذا رأي غير صحيح، لأن هذه الآية نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، وهو واقف بعرفة ، وقد عاش بعدها واحد وثمانين يوما.

وقبل وفاته بثلاث ليال نزلت: فتكون بذلك آخر ما نزل . وبها انقطع الوحي، وكانت آخر اتصال للسماء بالأرض.

1-3_القراءات القرآنية:

اهتم القدماء من العلماء المسلمين بالتأليف في القراءات اهتماما كبيرا، وخلفوا مجموعة من الأعمال العلمية التي يفيد منها الدارسون المحدثون فائدة عظيمة في مجال الدرس اللغوي للعربية، ومعرفة لهجاتها[1].

والقراءات هي الوجوه المختلفة التي سمح النبي صلى الله عليه وسلم بقراءة نص القرآن بها، قصدا للتيسير ، والتي جاءت وفقا للهجة من اللهجات العربية[1].

وهنا نتوقف أمام تلك الروايـــــة التي رواها أبي بن كعب – رضي الله عنـــه – قال: «دخلت المسجد أصلي، فدخل رجل فافتتح (النحل)، فقرأ فخالفني في القراءة، فلما أنفتل قلت: من أقرأك؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء رجل فقام يصلي، فقرأ وافتتح (النحل) فخافني وخالف صاحبي، فلما أنفتل قلت: من أقرأك؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أبي: فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية، فأخذت بأيديهما ، فانطلقت بهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: استقرئ هذين، فاستقرأ أحدهما وقال: أحسنت، فدخل صدري من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية، ثم استقرأ الآخر، وقال: أحسنت، فدخل صدري من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره بيدي، فقال: أعيذك بالله يا أبي من الشك، ثم قال: إن جبريل عليه السلام أتاني، فقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: اللهم خفف عن أمتي، ثم عاد، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين، فقلت: اللهم خفف عن أمتي، ثم عاد ، وقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف».[2]

وتدل تلك الرواية على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كـــان يتلو كلماته بلهجات متعددة، وهذا نوع من أنواع التيسير على أهل القبائل في تلاوته، فقد سمع أبي بن كعب (سورة النحل)

---

[1] أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ط8 (2003م) ، ص 19 .

[1] ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ت: علي محمد الضباع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج20/1.

بقراءة تخالف تلك التي سمعها الصحابيان الجليلان من الرسول صلى الله عليه وسلم، والقراءات الثلاث صحيحة، لأنها صحيحة السند إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وهناك اختلافات بين العلماء حول العدد "سبعة" الوارد في الحديث الشريف، وهل المراد بالسبعة حقيقة العدد، أم لا؟.[1]

ولكن نشير إلى أن:«كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالا، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها».

ولكن لماذا أنزل القرآن الكريم على سبعة أحرف، في حين أن الكتاب قبله كان يترل على حرف واحد؟.

ذلك أن الأنبياء (عليهم السلام) كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم، والنبي صلى الله عليه وسلم بُعث إلى جميع الخلق أحمرها وأسودها، عربيها وعجميها، وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة، وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر4.

ونتوقف أمام تساؤل آخر، وهو خاص بمعنى "الأحرف" في رواية أبـــيّ بن كعب – رضي الله عنه – نستطيع أن نبين المقصود بتلك الأحرف في النقطتين الآتيتين:

النقطة الأولى:

أن يعني أن القرآن نزل على سبعة أوجه من اللغات، لأن الأحرف جمع حرف في القليل كفلس، وأفلس، والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى: { ومن الناس من يعبد الله على حرف} الحج 11 ، فالمراد بالحرف هنا: الوجه، أي على النعمة والخير، وإجابة السؤال {ذلك جزينهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور } سبأ: ١٧ والعافية، فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأن وعبد الله، وإذا تغيرت عليه، وامتحنه بالشدة والضر، ترك العبادة وكفر، فهذا عبد الله على وجه واحد، فلهذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأوجه المختلفة من القراءات، والمتغايرة من اللغات أحرفا على معنى أن كل شيء منها وجه.

النقطة الثانية:

[2] الآراء المختلفة حول تفسير الحديث الشريف في الإتقان للسيوطي، ج1/ 131 وما بعدها.

أن يكون سمى القراءات أحرفا على طريق السعة، كعادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه، وما قاربه وجاوره، وكان كسبب منه، وتعلق به ضربا من التعلق كتسميتهم الجملة باسم البعض منها، فلذلك سمى النبي صلى الله عليه وسلم القراءة حرفا[1] .

وقد أشار ابن قتيبة إلى انه تدبر وجوه الخلاف في القراءات، فوجدها سبعة أوجه:

الوجه الأول: الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها، بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب، ولا يغير معناها، نحو قوله تعالى: هؤلاء بناتي هن أطهر لكم هود 78 و أطهر لكم و{وهل نجازي إلا الكفور} سبأ: ١٧: {ويأمرون الناس بالبخل} و{بالبخل} و {فنظرة إلى ميسرة} و{ميسرة} البقرة: ٢٨٠

الوجه الثاني: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة، وحركات بنائها، مما يغير معناها، ولا يزيلا عن صورتها في الكتاب، نحو قوله تعالى: {ربنا باعد بين أسفارنا } سبأ: ١٩ و{ إذ تلقونه بألسنتكم} و {تلقونه} النور: ١٥ {وادّكر بعد أمة } يوسف: ٤٥

الوجه الثالث: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، بما يغير معناها، ولا يزيل صورتها، نحو: قوله تعالى: {وانظر إلى العظام كيف ننشزها} ، { ننشزها} و {حتى إذا فرّغ عن قلوبهم}

الوجه الرابع: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب، ولا يغير معناها، نحو قوله تعالى: {إن كانت إلا صيحة } و{ّكالعهن المنفوش}

الوجه الخامس: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها، نحو قوله تعالى: وطلح منضود الواقعة: ٢٩

الوجه السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير، نحو قوله تعالى: {وجاءت سكرة الموت بالحق }

الوجه السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى: وما عملته أيديهم .

[1] المصدر نفسه:ج23/1.

1- 4_ أشهر القراء وطرقهم:

1- نافع من روايتي قالون وورش عنه، أما قالون فن طريقي: أبي نشيط والحلواني عنه، أما ورش فمن طريقي: الأزرق والأصبهاني.

2- ابن كثير من روايتي البزي وقنبل عن أصحابهما عنه، أما البزي فمن طريقي: أبي ربيعة وابن الحباب عنه، أما قنبل فمن طريقي: ابن مجاهد وابن شنبوذ عنه.

3- أبو عمر من روايتي الدوري والسوسي عن اليزيد عنه، أما الدوري فمن طريقي: أبي الزعراء وابن فرح عنه، أما السوسي فمن طريقي: ابن جرير وابن جمهور عنه.

4- ابن عامر من روايتي هشام، وابن ذكوان عن أصحابهما عنه، أما هشام فمن طريقي: الحلواني عنه والداجوني عن أصحابه عنه، أما ابن ذكوان فمن طريقي، الأخفش والصوري عنه.

5- عاصم من روايتي أبي بكر شعبة وحفص عنه، أما أبو بكر فمن طريقي: يحى بن آدم والعليمي عنه، أما حفص فمن طريقي: عبيد بن الصباح وعمرو بن الصباح.

6- حمزة من روايتي خلف وخلاد عن سليم عنه، أما خلف فمن طرق: ابن عثمان، وابن مقسم، وابن صالح والمطوعي، أربعتهم عن إدريس عن خلف، وأما خلاد فمن طرق: ابن شاذان وابن الهيثم والوزان، والطلحي، أربعتهم عن خلاد.

7- الكسائي من روايتي أبي الحارث والدوري عنه، أما أبو الحارث فمن طريقي: محمد بن يحى وسلمة بن عاصم عنه، أما الدوري فمن طريقي، جعفر النصيبي، وأبي عثمان الضرير عنه.

8- أبو جعفر من روايتي عيسى بن وردان وسليمان بن جماز عنه، أما عيسى بن وردان فمن طريقي: الفضل بن شاذان وهبه الله بن جعفر عن أصحابهما عنه، وأما ابن جماز فمن طريقي رزين والأزرق الجمال عنه فعنه.

9- يعقوب من روايتي رويس وروح عنه، أما رويس فمن طرق: النخاس بالمعجمة وأبي الطيب وابن مقسم والجوهري، أربعتهم عن التمار عنه، أما روح فمن طريقي: ابن وهب والزبيري عنه.

10- خلف من روايتي إسحاق والوراق وإدريس الحداد عنه، أما الوراق فمن طريقي: السوسنجردي وبكر بن شاذان عن ابن أبي عمر، أما إدريس الحداد فمن طرق: الشطي والمطوعي وابن بويان والقطيعي، الأربعة عنه.

ولما توجد من علاقة بين القراءات وتعددها، وتعلقها بالجانب الصوتي، نستطيـــــع أن ندرج القضايا التي تناولت هذا الجانب مثلا:

ما يتصل بالتشديد والتخفيف قال تعالى: {قل من ينجيكم} {قل الله ينجيكم } يقـــــرآن بالتشديد والتخفيف، فالحجة لمن شدد: أنه أخذه من نجى ينجّي، وهو علامة لتكرير الفعل ومداومته، والحجة لمن خفف: أنه أخذه من أنجى ينجي، فأما من شدد الثانية وخفف الأولى، فإنه أتى باللغتين ليعلم أن القراءة بكلتيهما صواب1.

وكذلك قوله تعالى: {فيضاعفه} يقرأ بالتخفيف وإثبات الألف، وبالتشديد وطرحها، فالحجة لمن خفف: أن (ضاعف) أكثر من (ضعّف) لقوله: (أضعافا كثيرة) ودليله قوله تعالى: عشر أمثالها أي من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، والحجة لمن شدد: التكرير ومداومة الاستفهام. 2

وما يتصل بالرفع أو النصب في قوله تعالى: {إلا أن تكون تجارة} فلمن رفع وجهان:

أحدهما: أنه جعل {تجارة} اسم كان، و {تديرونها} الخبر، والثاني: أن يجعل (كان) بمعنى حدث ووقع، فلا يحتاج إلى خبر كقوله: {وإن كان ذو عسرة} والحجة لمن نصب: أنه أضمر في (كان) الاسم، ونصب ﴿ على الخبر، وفيه ضُعف ، فأما قوله في النساء: "بالنصب، فوجه صحيح لتقدم ذكر الأموال قبل ذلك3.

ومما يتصل بالدرس الصوتي، ما أشار إليه ابن خالويه في كتابه :[الحجة في القراءات السبع] من حذف للأصوات المفردة ، ويؤدي هذا إلى تحويل في الصيغة كقوله تعالى: ما لك يوم الدين الفاتحة: ٤ ، ويقرأ بإثبات الألف وطرحها، فالحجة لمن أثبتها أن الملك داخل تحت المالك، والدليل

ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ت/د: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة،ط6(1417هـ-1996م)،ص141.

[1]

[2] المصدر نفسه:ص98.

[3] المصدر نفسه: ص103.

له قوله تعالى: اللهم مالك الملك آل عمران: ٢٦ ، والحجة لمن طرحها: أن الملك أخص من المالك وأمدح، لأنه قد يكون المالك غير ملك، ولا يكون الملك إلا مالكا1.

وقال الله تعالى: {ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل اله لكم قياما } النساء: ٥ ،

يقرأ بإثبات الألف وطرحها، وهما لغتان وأصل الياء فيهما واو، وقُلبت ياء لكسرة ما قبلها كما قالوا: ميعاد وميزان، فالحجة لمن أثبت الألف أن : الله تعالى جعل الأموال قياما لأمور عباده، والحجة لمن طرحها أنه أراد: جمع قيمة، لأن الأموال قيم لجميع المتلفات.

ومما يتصل بالتحويل في الصيغ نجد كذلك قوله تعالى: { وجعلنا لمهلكهم موعدا } الكهف: ٥٩ يقرأ بفتح الميم وضمها، وبفتح اللام وكسرها، فالحجة لمن فتحها: أنه جعله مصدرا من قولهم : هلكوا مهلكا، والحجة لمن قرأه بكسر اللام وفتح الميم: أنه جعله وقتا لهلاكهم، أو موضعا لدلك، ودليله قوله تعالى : {حتى إذا بلغ مغرب الشمس }الكهف: ٨٦، أي الموضع التي تغرب فيه، والحجة لمن قرأه بضم الميم وفتح اللام، أنه جعله مصدرا من قولهم: أهلكهم الله مُهلكا يريد إهلاكا، فجعل مُهلكا في موضعه، ودليله قوله تعالى:{ أدخلني مدخل صدق }الإسراء: ٨٠2 .

وللإشارة هناك العديد من القضايا أو الظواهر النحوية المتصلة بالقراءات، منها: قوله تعالى: {ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة } البقرة: ٧ ، يقرأ بالرفع والنصب، فالحجة لمن رفع: أنه استأنف الكلام مبتدئا، ونوى به التقديم، وبالخبر التأخير ، فكأنه قال: وغشاوة على أبصارهم، والحجة لمن نصب: أنه أضمر مع الواو فعلا عطفه على قوله: ختم الله على قلوبهم ، وجعل على أبصارهم غشاوة.3

وهناك الكثير من الآيات الكريمة التي ورد فيها الفعل مبنيا للمعلوم، وقرئ ببنائه للمجهول، أو العكس، وتؤدي القراءة إلى الاختلاف في الإسناد، منه: قوله تعالى: {وإلى الله ترجع

---

[1] المصدر نفسه: ص62.

[2] المصدر نفسه: ص227.

[3] المصدر نفسه: ص 67.

الأمور} البقرة: ٢١٠ يقرأ بفتح التاء وضمها، فالحجة لمن فتحها أنه أراد: تصير، والحجة لمن ضمها أنه تُردُّ[1].

ويؤدي الاختلاف في ضبط حرف من الحروف إلى تعدد المعنـــــى كقولـــه تعالى: {إن في ذلك لآيات للعالمين } الروم: ٢٢ يقرأ بفتح اللام وكسرها، فالحجة لمن فتح: أنه جعله جمع(عالم) والعالم يحتوي كل المخلوقات من إنس، وجان، وجماد، وحيوان، والحجة لمن كسر: أنه جعل جمع(عالم) لأن العالم أقرب إلى الاعتبار من الجاهل، ودليله قوله تعالى: يعقلها إلا العالمون العنكبوت: ٢٤٣.

وكذا في قوله تعالى: {وما هو الغيب بضنين} التكوير: ٢٤ يقرأ بالضاد، والظاء، فوجه الضاد يراد به: ما هو بخيل، ووجه الظاء يراد به: ما هو بمتّهم.3

1-5_الأحرف السبعة:

لم تثر مشكلة من مشكلات البحث في تاريخ القرآن ما أثارته الأحرف السبعة، و لم يختلف العلماء في موضوع مثلما اختلفوا في تفسير هذه الأحرف السبعة. وليت الأمر كان مقصورا على تباين وجهات الفهم والنظر، كما هي الحال في تفسير كثير من القضايا التاريخية، والظواهر الاجتماعية، والاقتصادية، إذن لهان الأمر، وقبل من الآراء ما يتفق والوقائع المختلفة، والظروف الملائمة، لكن الأمر جر إلى اختلاف في تفسير العقيدة، والتاريخ، واللغة. وأدى ببعض الباحثين إلى جنوح في الرأي بعيد عن الحق والصواب، وحقيقة القرآن العظيم.

ويخيل إلينا أن كل ما أثير من زوابع وعواصف في هذا البحث، قد طواه الزمن، ولفّته الأيام، و لم يعد سوى مجرد ذكرى، فالمشكلة زالت من أساسها، وقصة الأحرف السبعة عاشت حقبة من الزمن، ثم انطوت، أو خمدت جذوتها، وعلى هذا فإن الأمر هيّن، والمشكلة غدت محلولة بفعل

[1] المصدر نفسه: ص95.

[2] المصدر نفسه:ص282.

[3] المصدر نفسه:ص364.

الزمن، وإذا بقي شيء منها فهو الذكرى ليس إلا، والرغبة في فهم هذا الموضوع التاريخي، والخلاف العتيق، ووجهات النظر السالفة.

ونعتقد أن كل رأي يطرأ اليوم، إنما هو صدى لما قيل في الماضي، وترديد لما تضمّنته كتب تواريخ القرآن. وأن كل باحث اليوم يختار من الآراء ما يتفق وعقيدته، ومنهجه، وإيمانه، أو كفره.

ولنبدأ القصة من أولها:

روى البخاري في صحيحه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ في صلاته سورة الفرقان، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ قراءة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكدت أساوره في الصلاة. فصبرت حتى سلّم، فلبّبته بردائه، وقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت : كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسله، وقال له: اقرأ يا هشام. فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أنزلت. ثم قال لي : اقرأ يا عمر . فقرأت القراءة التي أقرأني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أنزلت. " إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه" .

ولقد روي مثل هذا الحديث في معظم كتب السنة، وأغلب ما روي يدور حول فكرة واحدة هي : أن القرآن نزل على سبعة أحرف.

المشكلة في هذه الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفسر لنا المقصود من الأحرف السبعة، وكذلك لم يفعل أحد من الصحابة. كأن الأمر كان من الوضوح إلى حدّ لا يحتاج إلى تفسير.

وجاء التابعون ومن بعدهم، ونظروا في هذه الأحاديث، وأرادوا تفسيرها، فذهبوا في ذلك مذاهب شتّى، وكانت تفسيراتهم سببا لنشوب المشكلة، وثورة الخلاف.

ونريد الآن أن نسأل عدة أسئلة:

ما المراد بالأحرف؟ .

وما المراد بكلمة سبعة؟ .

هل المراد بالأحرف لغات غير العربيـــة؟ أو هي لهجات عربيـــــة؟ .

أو ألوان من التشريع؟ أو أنواع من العلوم؟ أو ألفاظ مترادفة؟ أو قراءات متعددة؟ أو معان متباينة ؟ أو اختلافات جزئية؟أو أمور غامضة لا يعلم حقيقتها إلا الله وحده؟.

وهل المراد من العدد "سبعة" الرقم الواقع بين العددين:ستة، وثمانية؟ أو هو مجرد رمز لعدد؟. أيجوز أن يكون أقل من سبعة أو أكثر منها، ثم معنى اختيار العدد "سبعة"دون غيره؟.

ونقلب صفحات كتب التـــــراث، فتطالعـــنا أجوبة لا حصر لها. منها الأجوبة غير المحكمة كقول بعضهم: إن المراد بها: وعد، ووعيد، وحلال، وحرام، ومواعظ، وأمثال، واحتجاج. وقول آخرين:إن المراد بها:حلال، وحرام، وأمر، ونهي، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن بعد،وأمثال...

ونرد هذه الأجوبة لأنها تتعارض في مدلولها مع سياقا الحديث الذي قص علينا ثورة عمر على هشام بن حكيم حين سمعه يقرأ آيات من الفرقان،وكل الذي أثار عمر سماعه شيئا من الاختلاف في القراءة عما كان يحفظ ، إذن فما معنى تفسير أولئك الناس: إنها تعني حلالا وحراما، ووعدا ووعيدا وما إلى ذلك؟ وهل ينسجم هذا التفسير وسياق الحديث؟

وقال جماعة آخرون: إنها لغات سبع غير عربية جاءت في القرآن، لكنها اتفقت في لفظها ومعناها في العربية وفي اللغة الأعجمية، وراحوا يستشهدون بما ورد في القرآن من ألفاظ حبشية ، وفارسية، ورومية، وهندية، وسريانية، وعبرانية، ونبطية وهكذا.

ونردّ هذا التفسير كذلك للســـبب الذي رددنا به الأجوبة السابقـــــة،مشيرين إلى أن في القرآن ألفاظا أعجمية، لم تجئ من لغات سبع فقط، وإنما في القرآن – عدا ما ذكرنا من لغات – ألفاظ قبطية، وتركية، وزنجية، وبربرية وغيرها. وأن ورود هذه الألفاظ لا ينافي قوله تعالى: {إنا

جعلناه قرآنا عربيا } الزخرف: ٣وقوله تعالى: {بلسان عربي مبين } الشعراء: ١٩٥ لأن وصف القرآن بالعربية، هو بمعنى أنه نزل بما تنطق به العرب بألسنتها ، وتفهمه بعقولها، و لم يتزل بما هو شاق عليهم، غريب عن أذهانهم. وما تلك الألفاظ الأعجمية إلا مفردات انحدرت إلى العرب بسبب اختلاطهم بالأعاجم، فعرّبوها بألسنتهم، واستعملوها في مخاطباتهم، وصارت من مفردات اللغة العربية.[1] وقال آخرون: إن الحرف في اللغة يعني " اللهجة " والحروف السبعة تعني لهجات سبعا لقبائل كانت فصيحة كل الفصاحة، ولغاتها سليمة كل السلامة من الدّخل والشوائب وهي: قريش، وكنانة، وأسد، وهذيل، وتميم، وضبّة، وقيس. وسمى علماء آخرون قبائل أخرى. وسواء علينا أكانت هذه الأحرف لغة لهذه القبيلة أو لتلك فإنا نرى في هذا التفسير قربا من الحق، وجانبا من المنطق، وأن وراء من قال به عقلا راجحا، وفكرا متّزنا.

نرجّح هذا لسبب بسيط، هو اختلاف نطق بعض الحروف عند القبائل، فالهذلي يقرأ عتّى حين " وهو يريد: " حتّى حين " . والأسدي يقول: " تعلمون" ، بكسر التاء، والتميمي يهمز، والقرشيّ لا يهمز... وهكذا، وكل قبيلة لا تستطيع أن تنطق على الصورة التي تنطق بها القبيلة الثانية. ولو كانت صورة قراءة الكلمة القرآنية على شكل واحد، لدى جميع القبائل، لوقع الناس في الحرج، واضطروا إلى ركوب ما لم يتعودوه صغارا، ويرجوا عليه شبانا وكهولا، وحينئذ فهم أمام أمرين: إما الوقوع في خطأ اللسان، وركوب الصعب، وإما أن يتركوا القراءة نهائيا لأنهم لا يستطيعونها. وفي كلا الأمرين حرج.

أو لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه قوله تعالى: {فاقرءوا ما تيسر منه }المزمل:٢٠

أو لم يرد في القرآن قوله تعالى: {ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر} القمر: ١٧ وتكررت هذه الآية عدة مرات.

وهناك أربعون قولا آخر في تفسير هذه الأحرف، أوردها السيـــوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن " وفيها من التناقض العجب العجاب.

1-6_فواتح السور:

[1] الخصائص لابن جني،360/1، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص27، وتفسير الطبري 13/1و 52/1.

من خصائص السور المكية حروف التهجي، يفتتح الله بها مواضع من كتابه الكريم . وأهمية هذه الفواتح تحملنا على دراستها في بحث خاص نحاول أن نصل فيه إلى الحكمة من وجودها.

إن في القرآن صيغا مختلفة من هذه الفواتح:

فمنها البسيط المؤلف من حرف واحد، وذلك في سور ثلاث: صاد،وقاف، والقلم. إذ تفتتح الأولى بحرف ص ص: ١، والثانية بحرف ق ق: ١، والثالثة بحرف ن القلم: ١

ومن هذه الفواتح عشر مؤلفة من حرفين:

ست منها متماثلة تسمى " الحواميم " لأن أوائلها تبتدئ بـــ حم غافر:1 وهي:

سورة غافر، وفصّلت، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وثلاث تبتدئ بحرفين مختلفين، واحدة بـــ {طه} طه: ١ وثانية بـــ: {طس} النمل: ١وثالثة بـــ {يس} يس: ١

أما الفواتح المؤلفة من ثلاثة أحرف فيجدها القارئ في ثلاث عشرة سورة: ست منها تبتدئ بـــ {ألمّ} وهي البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة. وخمس منها تبتدئ بـــ{ ألر} وهي : يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر. واثنتان منها تبتدئان بـــ {طسمّ} في الشعراء، والقصص.

أما المفتتحة بأربعة أحرف فسورتان: الأعراف وأولها ألمّص والرعد وأولها ألمّر واثنتان تبتدئان بخمسة أحرف، وهما سورة مريم {كهيعص} مريم: ١ وسورة الشورى {حم عسق} .

الشورى: ١- ٢

يتضح من هذا العرض أن مجموعة السور القرآنية المفتتحة بهذه الأحرف تسع وعشرون سورة، وأن هذه الحروف أربعة عشر حرفا، من غير المكرر، وهذا العدد يعدل نصف أحرف العربية- على اعتبار الألف والهمزة – ويجمعها قولك: " نص حكيم قاطع له سر " أو " طرق سمعك النصيحة " .

ويرى بعض العلماء أن لهذه الفواتح ولعددها أسرارا، فهي نصف حروف القرآن المعجز، وعددها يمثل نصف الحروف الشديدة والرخوة، ونصف المطبقة والمنفتحة، ونصف المهموسة

والمجهورة. ويزيد بعضهم في التحدث عن العدد(14) وأسراره، فيذكر منازل القمر، والبروج الشمالية والجنوبية، ومفاصل اليد الواحدة، وفقرات الظهر العليا، والفقرات السفلى – عدا العصعص – ومثلها الحيوانات والطيور... إلخ.

ووقف المفسرون مواقف مختلفة من تفسير هذه الحروف في هذه الفواتح، وذهب كثيرون منهم إلى أن هذا الكتاب الكريم مؤلف من حروف التهجي المعروفة جاء بعضها مقطعا منفردا، وجاء تمامها مؤلفا مجتمعا، ليتبين للعرب أن القرآن نزل بالحروف التي يعرفونها، فيكون ذلك تقريعا لهم، ودلالة على عجزهم أن يأتوا بمثله، ومن أصحاب هذا الرأي البيضاوي، والزمخشري، وابن تيمية، وتلميذه الحافظ المزّي،1 وسيد قطب، وآخرون.

قال سيد قطب رحمه الله في مطلع تفسيره لسورة البقرة المفتتحة بـــ {ألمّ ذلك الكتاب لا ريب فيه}.

" تبدأ السورة بهذه الأحرف الثلاثة: ألف، لام ، ميم، بوصفها: مبتدأ،خبره:.. هذه الأحرف هي الكتاب، فمن نوع هذه الأحرف، ومن جنسها، يتألف هذا الكتاب، ومن هذه الأصوات المألوفة يتكون. ولكنه مع هذا هو ذلك الكتاب المعجز الذي يتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فلا يستطيعون... ذلك هو الإعجاز، وذلك مثل صنع الله في كل شيء وصنع الناس... إن هذه التربة الأرضية مؤلفة من ذرات معلومة الصفات. فإذا أخذ الإنسان هذه الذرات فقصارى ما يصوغه منها لبنة أو آجرة أو آنية ، أو أسطوانة ، أو هيكل، أو جهاز كائنا في دقته ما يكون... ولكن الله المبدع يجعل من تلك الذرات حياة نابضة خافقة، تنطوي على ذلك السر الإلهي المعجز، الذي لا يستطيعه بشر، و لم يعرف سره أحد... وهكذا القرآن ... حروف وكلمات... وصنع الله من هذه الحروف والكلمات،ه هو الفرق ما بين الجسم الخامد، والروح النابض.

هو الفرق ما بين صورة الحياة وحقيقة الحياة" .2

ولاحظ أصحاب هذا الرأي – وهم في أوج حماستهم لفكرتهم هذه –أن تحدي القرآن للعرب أن يأتوا بمثله يزداد وضوحا، ويكتسب قوة، وأنها لظاهرة غريبة حقا، إذ إنه لم يكتف باشتماله

[1] علوم القرآن: ص 235.

[2] في ظلال القرآن، أول تفسير سورة البقرة.

على فواتح مختلفة يبلغ تعدادها تمام حروف الهجاء، ولا بتأليفه تلك الفواتح من نصف الحروف الهجائية، بل حوى فوق ذلك من كل جنس من الحروف: فمن حروف الحلق: الحاء والعين والهاء، ومن الحروف المهموسة: السين والحاء والكاف والصاد والها، ومن الحروف المجهورة: الهمزة والميم واللام والعين والراء والطاء والقاف والياء والنون، ومن الحروف الشفهية: الميم ، ومن حروف القلقلة: القاف والطاء. ثم إن هذه الحروف ذكرت تارة مفردة، وتارة حرفين حرفين، وطورا ثلاثة ثلاثة، وأحيانا أربعة وخمسة، لأن تراكيب الكلام على هذا النمط، ولا زيادة على الخمسة.[1]

لا نستطيع أن نقطع برأي حازم جازم ما ذهب إليه أولئك المفسرون، وإن كنـــــا مع الذين يميلون إلى القول بأن القرآن معجز، وهو مؤلف من الأحرف الهجائية العربية التي نستعملها، لأن هذه الفواتح من الأمور المتشابهة التي تحتمل أكثر من تأويل وتفسير.

وإن الاعتقاد بغموض دلالة هذه الأحرف قد أحاطها بجو من التورع عن تفسيرها،

والتخوف من إبداء رأي صريح فيها. فهي كما قال الشعبي: " سر هذا القرآن " ولا يعلم تأويله إلا الله، وكما قال علي بن أبي طالب: " إن لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي ". وقال أبو بكر الصديق: " في كل كتاب سر، وسره في القرآن أوائل السور " . وروي عن ابن مسعود والخلفاء الراشدين: " إن هذه الحروف علم مستور وسر محجوب استأثر الله به ".[2]

وكثيرون من العلماء الذين خاضوا في معنى هذه الفواتح لم يدلوا فيها برأي قاطع، بل شرحوا وجهة نظرهم فيها مفوضين تأويلها الحقيقي إلى الله. وأزلية هذه الأحرف ما انفكت – على سائر الأقوال – تحيطها بالسرية، وسريتها تحيطها بالتفسيرات الباطنية، وتفسيراتها الباطنية تخلع عليها ثوبا من الغموض لا داعي إليه، ولا معوّل عليه.

وأدخلوا تلك الآراء في معنى الغموض قول من عد هذه الحروف على " حسابا بالجمل" ليستنبط منها مدة بقاء الأمة الإسلامية، أو التنبيه على كرامة شخص، أو شيعة معينة.

---

[1] علوم القرآن: 236.

[2] تفسير المنار، 302/8، نقلا عن علوم القرآن، ص 237.

فها هو ذا السهيلي يقول : لعل عدد الحروف التي في أوائل السور – مع حذف المكرر – إشارة إلى بقاء هذه الأمة.

والخويي يروي أن بعض الأئمة استخرج من قوله تعالى: ألمّ غلبت الروم بيت المقدس يفتحه المسلمون في سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة. وصدف أن وقع كما قال.

والعز بن عبد السلام روى أن عليا رضي الله عنه استخرج واقعة معاوية من {حم عسق} وبعض الشيعة رأى أن مجموعة هذه الفواتح – إذا حذف المكرر منها – يفيد أن " صراط عليّ حق نمسكه " .

وبعض أهل السنة رأى أن مجموعة الفواتح – إذا حذف المكرر منها – يفيد " صح طريقك مع السنة " .

وابن عربي في الفتوحات المكية رأى في الفواتح رأيا غريبا حيث قال: " اعلم أن مبادئ السور المجهولة لا يعلم حقيقتها إلا أهل الصور المعقولة، فجعلها – تبارك وتعالى – تسعا وعشرين سورة، وهو كمال الصورة، {والقمر قدرناه منازل} يس: ٣٩والتاسع والعشرون القطب الذي به قوام الفلك، وهو علة وجوده، وهو سورة آل عمران، ولولا ذلك لما ثبتت الثمانية والعشرون، وجملتها – على تكرار الحروف – ثمانية وسبعون، فلا يكمل عبد أسرار الإيمان حتى يعلم حقائق هذه الحروف في سورها" ... ويقول ابن عربي في موطن آخر: " ثم جعل الله سبحانه وتعالى هذه الحروف على مراتب، منها موصول، ومنها مقطوع، ومنها مفرد ومثنى ومجموع، ثم نبه أن في كل وصل قطعا، وليس في كل قطع وصل، فكل وصل يدل على فصل، وليس كل فصل يدل على وصل، والوصل والفصل في الجمع وغير الجمع، والفصل وحدة في عين الفرق، فما أفرده من هذا فإشارة إلى فناء رسم العبد أزلا، وما أثبته فإشارة إلى وجود رسم العبودية حالا، وما جمعه فإشارة إلى الأبد بالموارد التي لا تتناهى، والإفراد للبحر الأزلي، والجمع للبحر الأبدي، والمثنى للبرزخ المحمدي الإنساني، والألف فيما نحن فيه إشارة التوحيد، والميم إشارة إلى الملك الذي لا يبيد، واللام بينهما واسطة ليكون بينهما رابطة" .

ونحن بدورنا نأبى هذا اللون من التفسير الذي هو قريب من الطلاسم، لأن القرآن نزل بلسان مبين، يفهمه الأعرابي في الصحراء، والعامل في المعمل، والتاجر في زحمة الأسواق، والطالب في المدرسة، و لم يكن – كما فسره ابن عربي – طلاسم وألغازا وأسرارا.

وقال قوم: إن هذه الفواتح حروف مقطعة، كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى، أو يكتفى به عن كلمة تؤلف مع سواها جملا يتصل معناها بما بعدها، أو كهيعص : الكاف من الكريم، والهاء من الله، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق. وقوله رضي الله عنه في ألّمر : أنا الله أرى، وفي ألّمص : أنا الله أفصل.

وقال آخر: إن {طسمّ } تعني طور سيناء موسى، لأن السورتين اللتين تفتتحان بهذه الحروف تقصان خبر صاحب التوراة عليه السلام في طور سيناء.

وروي عن ابن عباس في {كهيعص} كذلك: أن الكاف من الملك، والهاء من الله، والياء من العزيز، والصاد من المصوّر.[1]

وروى السيوطي عن محمد بن كعب القرظيّ أن {ألر} {حم} {ن} تشير إلى (الرحمن) وأن {ألمص} : الألف من الله، والميم من الرحمن، والصاد من الصمد.[2]

وعن سعيد بن جبير أن {حم} الحاء اشتقت من الرحمن، والميم اشتقت من الرحيم.

وعن سالم بن عبد الله قال: {ألر} {حم} {ن} ونحوها اسم الله مقطعة. وعن ابن عباس قال: {ألمّ} اسم من أسماء الله تعالى الأعظم. وفي رواية ثانية عنه أنه قال: {ألمّ } {طسمّ} {ص} وأشباهها قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله.

وفي رواية عن فاطمة بنت الرسول عليه السلام أنها سمعت أباها يقول: يا كهيعص اغفر لي.

وفي رواية عن مالك بن أنس أنه سئل: أينبغي لأحد أن يتسمى بـــ"يس" ؟ قال: ما أراه ينبغي، لقول الله: {يس والقرآن الحكيم} يس: ١ – ٢ يقول: هذا اسم تسمّيت به.

وقال جماعة: إن لفظ كل هجاء في القرآن هو اسم من أسماء القرآن. أو اسم من أسماء السور.

---

[1] علوم القرآن، ص 240.

[2] الإتقان، 9/2.

وقال عدد من العلماء: إن هذه الفواتح شبيهة بفواتح الشعر نحو " بل" و "لا" " ألا" وعلل الخويي ذلك بأنه من الجائز أن يكون الله قد علم في بعض الأوقات كون النبي عليه السلام في عالم البشر مشغولا، فأمر جبريل بأن يقول عند نزوله {ألمّ} {ألر} {حم} ليسمع النبي صوت جبريل، فيقبل عليه، ويصغي إليه.قال: وإنما لم يستعمل الكلمات المشهورة نحو " ألا " و " أما " لأنها من الألفاظ التي يتعارفها الناس في كلامهم، والقرآن لا يشبه الكلام ، فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تعهد لتكون أبلغ في قرع سمعه.[1] ونرفض نحن هذا القول لتفاهة مدلوله، ولكون القرآن من كلام العرب ومثيله، وما تفوق عليه إلا بحسن نظمه.

وللعلماء أقوال أخرى شتى في هذا الموضوع أوردها السيوطي، ومعظمها لا يختلف عما أوردناه بشكل عام.

والطريف في الأمر أن المستشرقين خاضوا في هذا الموضوع، وراح بعضهم يخبط في ذلك خبط عشواء. قال شبرنجر: إن طسمّ لو قلبت لكان معناها {لا يمسه إلا المطهرون} الواقعة: ٧٩، فالميم والسين تفيدان المس والطاء أبرز حرف في المطهرون أما نولدكه فقد وجد أنها دخيلة على القرآن، أو هي أحرف تشير إلى أسماء بعض الصحابة الذين كانت عندهم نسخ من سور قرآنية معينة، فالسين في رأيه تدل على سعد بن أبي وقاص، والميم على المغيرة، والنون على عثمان، والهاء على أبي هريرة وهكذا. وصدق هذا جماعة من المستشرقين مثل شفالي، وبهل، وهرشفيلد، وظنوا أن نولدكه قد وقع على القول الحق، وأتى بالعجب العجاب، ولم يدروا أنه كان يهرف بما لا يعرف.

ووقف بلاشير من هذه الفئة موقف الساخر، وتهكّم عليهم أشد تهكّم، ودافع عن القرآن بقوله: " ليس من المعقول بحال من الأحوال أن يحتفظ أصحاب المصاحف المختلفة في نسخهم ذاتها بالحروف الأولى من أسماء معاصريهم، إن علموا أنه لا يقصد بها إلا ذلك. ويضاف إلى هذه الملاحظة القيمة أننا لا نكاد نجد مسوّغا لحرص أبيّ بن كعب، أو عليّ، أو ابن مسعود على أن يحتفظوا في مصاحفهم بالحروف الأولى من أسماء أشخاص كانوا ينافسوهم في استنساخ القرآن وجمعه ".[2]

[1] الإتقان، 11/2.

[2] نقلا عن علوم القرآن، ص 242.

وينتهي بلاشير إلى ضرورة الرجوع إلى النظرية الإسلامية نفسها باستخراج مختلـــــف الآراء وتمحيصها ومقابلتها بعضها ببعض، وأعلن بوضوح أن المسلمين الأتقياء الذين كانوا يرون من العبث كل محاولة لاختراق أسرار الفواتح القرآنية، أثبتوا بما لا يدع مجالا للشك أنهم وحدهم العقلاء الحكماء.

ونعود أخيرا إلى الرأي الأول الذي أوردناه وتبنّيناه، وهو أن هذا القرآن مكوّن من الحروف العربية، وأنه من مثل كلام العرب، ومع ذلك فهو المعجز المتحدّي.

الفصل الثاني
الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن الكريم
الدراسات اللغوية

1.2 معاني الفاظ القرآن الكريم

2.2 إعراب القرآن الكريم

-الفصل الثاني

. الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن الكريم (دراسات لغوية)

وعلى ضوء ما تقدم قامت حركة لغوية واسعة حول القرآن الكريم ، تهدف إلى فهمه وتفهيمه، والتوصل إلى معانيه ، و لم تتأتّ هذه الجهود إلا بدراسة اللغة التي نزل بها، لذلك وجدنا علوما لغوية كثيرة نشأت في رحابه متّخذة من آياته الكريمة نقطة الانطلاق .

وسنعرض في هذا الباب بشيء من التفصيل أهم الدراسات اللغوية التي دارت حول آيات الكتاب العزيز ، وهي: معاني ألفاظ القرآن الكريم، إعراب القرآن الكريم، القراءات القرآنية، النحو البلاغة مع ذكر أهم العلماء المسلمين الذين خاضوا في هذه الدراسات، ونبدأ بـــ:

2-1_ معاني ألفاظ القرآن الكريم:

لقد اهتم العلماء العرب بألفاظ القرآن الكريم اهتماما كبيرا منذ المراحل المبكرة من حياة الدرس اللغوي، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«من قرأ القرآن فأعربه، كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات» وأشار العلماء إلى أن المراد بالإعراب في الحديث الشريف معرفة ألفاظ القرآن الكريم، وليس المراد به الإعراب

المصطلح عليه عند النحاة، لأن القراءة مع فقده ليست قراءة، ولا ثواب فيها، وقد بدأت العناية بمعاني ألفاظ الكتاب العزيز في عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم، فقد سأله أعرابي عن معنى الألفاظ في مثل قوله تعالى: و لم يلبسوا إيمانهم بظلم الأنعام: ٨٢قائلا: «وأينا لم يظلم نفسه» وقد فسره الرسول صلى الله عليه وسلم بالشرك، واستدل عليه بقوله تعالى: {إنّ الشرك لظلم عظيم} لقمان: ١٣ 1.

ومن هنا فإن القرآن الكريم إنما أنزل بلسان عربي مبين في زمن كان من أفصح العرب فقد كانوا يعلمون ظواهره، وأحكامه الظاهرة فقط، أما دقائق باطنه، فإنما كان يظهر لهم بعد البحث، وانظر من سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم في الأكثر.2

ولذلك لم تكن الحاجة قائمة إلى وضع تفسير القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى أتى رسوله الكتاب وعلمه.3

ومن تلك العلوم معرفة معاني ألفاظه، وتحتاج تلك المعرفة إلى التثبيت والرجوع إلى كتب أهل الفن، وعدم الخوض بالظن، والدليل على ذلك أن بعض الصحابة رضوان الله عنهم وهم العرب العرباء، وأصحاب اللغة الفصحى، ومن نزل القرآن عليهم وبلغتهم، توقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها، فلم يقولوا فيها شيئا، فقد روي أن أبا بكر سئل عن قوله تعالى: وفاكهة وأبّا عبس: ٣١فقال: أيّ سماء تظلني، وأيّ أرض تقلّني، إن أنا قلت في كتاب الله مالا أعلم، وقرأ عمر بن الخطاب على المنبر: وفاكهة وأبّا فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو الكلف يا عمر، وقال ابن عباس : كنت لا أدري ما قوله تعالى: فاطر السماوات فاطر: ١حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما، أنا فطرتها، يقول أنا ابتدأتها.4

وقد أشار الزركشي إلى علم الصحابة بصفة عامة، ومكانة ابن عباس رضي الله عنه في تفسير القرآن الكريم، قال: «وقد كان الصحابة رضي الله عنهم علماء كل منهم مخصوص بنوع من

---

[1] فقه اللغة وعلم اللغة: ص92.

[2] البرهان في علوم القرآن: ج14/1.

عبد القادر محمد صالح: التفسير والمفسرون في العصر الحديث، ت:د.محمد صالح الألوسي،دار المعرفة-بيروت لبنان-

[3] ط1،ص59

[4] انظر:الإتقان في علوم القرآن، ج3/2-4.

العلم، كعلي رضي الله عنه بالقضاء، وزيد رضي الله عنه بالفرائض، ومعاذ رضي الله عنه بالحلال والحرام، وأبيّ رضي الله عنه بالقراءة، فلم يسمّ أحد منهم بحرا إلا عبد الله بن عباس ، لاختصاصه دونهم بالتفسير وعلم التأويل، وقال فيه علي بن أبي طالب: " كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق" وقال فيه عبد الله بن مسعود: " نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس " ، وقد مات ابن مسعود في سنة اثنتين وثلاثين ، وعمّر بعده ابن عباس ستا وثلاثين سنة، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود...».[1]

وللتعرف على جهد ابن عباس [ت/68هـ] نتوقف أمام المحاورة التي دارت بينه وبين نافع بن الأزرق، وقد عرفت باسم " مسائل نافع بن الأزرق " فهي تدل على الاهتمام بألفاظ القرآن الكريم، وقد وردت هذه المحاورة كاملة في كتاب: [الإتقان في علوم القرآن] للسيوطي:

قال السيوطي: «بينما عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة، قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، فقال : نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا، وتأتينا بمصادقة من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما، فقال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى: عن اليمين وعن الشمال عزين المعارج: ٣٧.

قال: العزون: حلق الرفاق، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

قال أخبرني عن قوله تعالى: {وابتغوا إليه الوسيلة} المائدة: ٣٥

قال : الوسيلة: الحاجة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنترة وهو يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحّلي وتخضّبي

[1] البرهان في علوم القرآن: ج1/08.

قال: أخبرني عن قوله تعالى: {شرعة ومنهاجا } المائدة: ٤٨

قال الشرعة:الدين، و المنهاج: الطريق، قال وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول:

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى وبيّن الإسلام دينا ومنهجا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: {إذا أثمر وينعه الأنعام}: ٩٩قال: نضجه وبلاغه، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

إذا ما مشت وسط النساء تأوّدت كما اهتزّ غصن ناعم النّبت يانع

قال: أخبرني عن قوله تعالى: {وريشا} الأعراف: ٢٦

قال: الريش: المال، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

فرشني بخير طالما قد بريتني وخير الموالي من يريش ولا يبري

قال: أخبرني عن قوله تعالى:{ لقد خلقنا الإنسان في كبد} البلد: ٤

قال: في اعتدال واستقامة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت لبيد بن ربيعة، وهو يقول:

يا عين هلا بكيت أريد إن قمنا وقام الخصوم في كبد

قال: أخبرني عن قوله تعالى : ي{كاد سنا برقه} النور: ٤٣

قال: السنا: الضوء، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟قال: نعم، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث يقول:

يدعوا إلى الحق لا يبغي به بدلا يجلو بضوء سناه داجيّ الظلم

وبعد، فهذه بعض المسائل التي أوردها جلال الدين السيوطي في الإتقان، وهي توضح لنا منهج ابن عباس في تفسير تلك الألفاظ التي سأله عنها نافع بن الأزرق، و ورودها في الشعر العربي.

ومما يتصل بالحديث عن معاني ألفاظ القرآن الكريم تلك المؤلفات الضخمة التي وصل إلينا خير تأليفها في مفردات غريبة والتي قدمها العلماء المسلمون في القرون الأولى، فمعرفة غريب القرآن الكريم هو معرفة المدلول، وقد صنف فيه جماعة، منهم: أبو عبيدة [كتاب المجاز]، وأبو عمر غلام ثعلب [ياقوتة الصراط]، ومن أشهرها: [كتاب غريب القرآن]لابن عزيز، ومن أحسنها [كتاب المفردات] للراغب الأصفهاني.

وهو يتصيّد المعاني من السياق، لأن مدلولات الألفاظ خاصة، قال ابن الصلاح: وحيث رأيت في كتب التفسير: " قال أهل المعاني " فالمراد به مصنفوا الكتب في معاني القرآن: كالزّجاج والفراء، و الأخفش، وابن الأنباري.

ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة اسما وفعلا وحرفا، فالحروف لقلتها تكلم النحاة على معانيها، فيؤخذ ذلك من كتبهم.[1]

2-2_ إعراب القرآن الكريم:

قبل الحديث عن كتب إعراب القرآن الكريم، نتوقف أمام معنى الإعراب في اللغة والاصطلاح، أما في اللغة فمعناه: الإبانة، كقولهم أعرب عن نفسه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البكر تستأمر، وإذنها صماتها، والأيم تعرب عن نفسها» أي يتبين رضاها بصريح العبارة، وأعرب الفرس: خلصت عربيته، وذلك إذا صهل فعرف بصهيله أنه عربي.[2]

وقد أورد المعجم الوسيط معاني أعرب كما يأتي:[3]

عرب عربا: فصح بعد لكنة.

وعرب عروبا وعروبة وعرابة وعروبية: فصح، ويقال عرب لسانه.

وأعرب فلان: كان فصيحا في العربية، وإن لم يكن من العرب.

أعرب الكلام: بيّنه، و أتى به وفق قواعد النحو.

---

[1] انظر: البرهان في علوم القرآن، ج/1 29، وانظر: الإتقان في علوم القرآن، ج3/2.

[2] فقه اللغة وعلم اللغة: ص112.

[3] إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، دار المعارف –القاهرة مصر – ط2 سنة 1973م، ج591/2.

و أعرب بمراده: أفصح به و لم يوارب.

وأعرب عن حاجته : أبان.

وأعرب الاسم الأعجمي: نطق به على منهاج العرب.

وأعرب في البيع: أعطى العربون، وفي حديث عمر : أن عامله بمكة اشترى دارا للسجن بأربعة آلاف، وأعربوا فيها أربعمائة.

ومعنى الإعراب في الاصطلاح من خلال [المعجم العربي الأساسي]: هو تغيير يلحق أواخر الكلمات العربية من رفع ونصب وجر وجزم.[1]

وبعد هذا العرض المبسط للمقصود بالإعراب في اللغة و الاصطلاح، نشير إلى أنه من مجالات البحث في القرآن الكريم إعراب ألفاظه، وقديما قالوا: الإعراب فرع المعنى ومن يجلى لنا إعرابه يكشف لنا عن معان فيه.

فإعراب القرآن ألفاظا وجمـــلا هو من المباحث الأساسية، ولا يخفـــى ما لهذا المبحث من أهمية كبرى في الكشف عن معاني القرآن للارتباط الوثيق القائم بين المعنى والمبنى في اللغة العربية، أو بالأحرى بين معنى اللفظ وإعرابه، بحيث يتلوّن المعنى بتلوّن الإعراب، فالإعراب هنا هو فرع المعنى ولعل ما يميز اللغة العربية عن معظم اللغات الأخرى، هو هذا الارتباط الوثيق بين المعنى والإعراب. [2]

هذا الفن الإعرابي نشأ مع النحو وتطوره، واستعان به المفسرون في توضيح الآيات في تفاسيرهم، ثم أخذ يستقل، وكان استقلاله ينمو شيئا فشيئا، حتى صار غرضا قائما بذاته.[3]

والعلاقة بين «علم إعراب القراءات» و «علم النحو» لا تحتاج إلى إيضاح، وبالتالي فقد اعتبر جمهور العلماء أن إعراب القرآن هو من علم النحو، ولكن العلاقة وثيقة أيضا بين إعراب القرآن وتفسيره، ولذلك ذهب البعض ومنهم: (طاش كبرى زادة) في كتابه: [مفتاح السعادة] ، إلى أنه من فروع علم التفسير، والحقيقة أن إعراب القرآن الكريم ضروري للتفسير، ولا ينفصل عن علم

---

[1] أحمد مختار و آخرون: المعجم العربي الأساسي – لاروس – ص830 باب : [ع ر ب].

[2] انظر: التبيان في إعراب القرآن، ج3/1 (عن مقدمته).

[3] المصدر نفسه: ج11/1.

القراءات، وعليه فثمة علوم ثلاثة مرتبطة هي: علم التفسير – علم الإعراب – علم القراءات ، ومن هنا نلاحظ أن معظم كتب التفسير لا تخلو من إشارات إلى وجوه القراءة المختلفة، وبالتالي إلى وجوه الإعراب. 1

علما أن مباحث النحو اعتمدت بشكل أساسي على شواهد القرآن الكريم، وعلى شواهد الشعر الجاهلي، وصدر الإسلام، لتقعيد قواعدها وتأبيد مذاهبها، والعلماء الذين اشتغلوا بالكشف عن وجوه إعراب القرآن كانت لهم اتجاهات مختلفة، فبعضهم جمع بين أوجه القراءات والإعراب مثل: الفراء في [معاني القرآن] ، وابن جنّي في [المحتسب] ، وابن فارس في [الحجة].

ومنهم من اقتصر على إعراب مشكله مثل: مكي في كتابه [مشكل إعراب القرآن].

أو إعراب غريبه كابن الأنباري في كتابه: [البيان في إعراب غريب القرآن]، ومنهم من انتقى فأعرب سورا أو أجزاء كابن خالويه، ومنهم من اختار ظاهرة محددة مثل: الألفاظ التي تقرأ بالتثليث (بالضمة – الفتحة – الكسرة) كما فعل أحمد بن يوسف الرعيني الأندلسي في كتابه [تحفة الأقران في ما قرئ بالتثليث من القرآن] ، ومنهم من عرض أشكال الإعراب، وجعل لكل شكل بابا، على نحو ما فعل الزّجاج في كتابه [إعراب القرآن]المنسوب إليه، ومنهم من أعربه كله كالعكبري في كتابه التبيان في [إعراب القرآن]. 2

وأشهر من صنّف في إعراب القرآن والقراءات في بابين مستقلين،أو في باب واحد، هم على التوالي:

يحيى بن زياد الفرّاء ت/207هـ : إعراب القرآن في أوجه القراءات والإعراب.

أبو مروان عبد الملك بن حبيب المالكي القرطبي ت/239هـ : إعراب القرآن والواضحة في إعراب الفاتحة.

أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني ت/248هـ : إعراب القرآن وكتاب القراءات.

أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد ت/286هـ : إعراب القرآن واحتجاج القراء.

---

1 ابن النجاس: إعراب القرآن، ت/عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية- بيروت لبنان – ط2 سنة 2004م ج1/07.

2 انظر : المصدر نفسه،ج1/08، وانظر، التبيان في إعراب القرآن، ج1/ عن مقدمته: د،هـ.

أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب ت/291هـ : غريب القرآن وكتاب إعراب القرآن، كتاب القراءات.

أبو البركات عبد الرحمان بن أبي سعيد الأنباري ت/328هـ : البيان في إعراب القرآن.

أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري أبو جعفر النحاس ت/338هـ : إعراب القرآن.

إبراهيم بن السدي بن سهل أبو إسحاق الزّجاج ت/311هـ : إعراب القرآن ومختصر إعراب القرآن ومعانيه.

الحسين بن أحمد أبو عبد الله المعروف بابن خالويه ت/370هـ : كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن – من الطارق إلى آخر القرآن والفاتحة – .

عثمان بن جنّي ت/392هـ : المحتسب في شرح الشواذ لابن مجاهد في القراءات.

أبو الحسن علي بن إبراهيم الحوني ت/430هـ : إعراب القرآن.

مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني ت/437هـ : مشكل إعراب القرآن، والكشف عن وجوه القراءات وعللها، والموجز في القراءات.

يحيى بن علي بن محمد الخطيب التبريزي ت/502هـ : المخلص في إعراب القرآن .

إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني ت/535هـ : إعراب القرآن.

أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ت/616هـ : التبيان في إعراب القرآن وإعراب الشواذ في القرآن .

عبد اللطيف بنيوسف البغدادي ت/629هـ : الواضحة في إعراب الفاتحة.

المنتخب بن أبي العزّ الهمذاني ت/643هـ : المفيد في إعراب القرآن المجيد .

إبراهيم بن محمد السفاقسي ت/842هـ : المجيد في إعراب القرآن المجيد.

أحمد بن يوسف المعروف بابن السّمين الحلبي ت/756هـ : الدر المصون في علم الكتاب المكنون في إعراب القرآن.

أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الأندلسي ت/777هـ : تحفة الأقران في ما قرئ بالتثليث من القرآن.

أحمد بن محمد الشهير بنشانجي زادة ت/986هـ : إعراب القرآن إلى سورة الأعراف، حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي.[1]

ومن خير الكتب التي ألفت في باب إعراب القرآن الكريم نجد: التبيان في إعراب القرآن للعكبري، وقد أراد مؤلفه أن يكون مرجعا لهذا الفنّ الإعرابي في القرآن، فجعله شاملا، أعرب فيه كل آيات القرآن، كما أورد أهم وجوه القراءات، وبيّن وجه إعرابها، فكان بذلك مرجعا في القراءات أيضا، ونجد أنه لم يشغله البحث في الإعراب والقراءات عن المعنى ، فهو يشير إلى معنى الآية والكلمة والجملة في كثير من الأحيان، ويبين وجوه المعاني في القراءات التي ترد في الآية .

وهو يستشهد بالشعر العربي، ليؤيد رأيه، ويطمئن قارئه، والأهم أنه يذكر القواعد النحوية العامة التي يعتمد عليها الإعراب، ويؤيد رأيه بآراء من سبقه من النحويين .

كما أنه يذكر أئمة النحو والتفسير، الذين ينقل عنهم، شأن العلماء الذين يذكرون مراجعهم التي كانت لهم نبراسا ومنارا .

ويعرض لمسائل هامة تفيد الباحث مثل: الحروف التي افتتحت بها بعض السور... (وأصل: « مهما » ، وزن الأشياء...).

فالكتاب كتاب إعراب ، ونحو، وقراءات ، وتفسير ، وهو بهذا كان من خير المراجع في موضوعه. [2]

ومن أمثلة إعرابه نجد: إعرابه لسورة الفاتحة ، الذي نقتبس منه ما يلي :

قال تعالى: {الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم} الفاتحة: ١ – ٣

الجمهور على رفع (الحمد) بالابتداء و(لله)الخبر ، واللام متعلّقة بمحذوف أي واجب ، أو ثابت، ويقرأ (الحمد)بالنصب، على أنه مصدر فعل محذوف أي (أحمد الحمد) ،والرفع أجود ،

[1] إعراب القرآن، ص7 وما بعدها.

[2] التبيان فيإعرابالقرآن ، ج1/(عن : مقدمته د ، هـ) .

لأنّ فيه عموما في المعنى، ويقرأ بكسر الدال اتباعا لكسرة اللام، كما قالوا: المعيرة ورغيف، وهو ضعيف في الآية، لأن فيه اتباع الإعراب البناء، وفي ذلك إبطال للإعراب .

ويقرأ بضم الدال واللام، على إتباع اللام الدال، وهو ضعيف أيضا، لأن لام الجر متصل بما بعده، منفصل عن الدال، ولا نظير في حروف الجر المفردة، إلا أنّ من قرأ به فرّ من الخروج من الضم إلى الكسر، وأجراه مجرى المتصل، لأنه لا يكاد يستعمل الحمد منفردا عما بعده .

(الرّب): مصدر: ربّ، يربّ، ثم جعله صفة كعدل وخصم، وأصله: رابّ، وجره على الصفة، أو البدل، وقرئ بالنصب على إضمار أعنى، وقيل عن النداء، وقرئ بالرفع على إضمار هو، (العالمين): جمع تصحيح، واحدة عالم اسم موضوع للجمع، ولا واحد له في اللفظ، واشتقاقه من العلم عند من خص العالم بمن يعقل، أو من العلامة عند من جعله لجميع المخلوقات.

وفي : الجر والنصب والرفع وبكل قرئ ما ذكرناه في (رب)

قال الله تعالى:{ مالك يوم الدين } يقرأ بكسر اللام من غير ألف، وهو من عمر ملكه، ويقال: ملك بين الملك بالضم، وقرئ بإسكان اللام وهو من تخفيف المكسور، مثل: فخذ، كتف، وإضافته على هذا محضة، وهو معرفة، فيكون جره على الصفة أو البدل من الله، ولا حذف فيه على هذا.

ويقرأ بالألف والجر، وهو على هذا نكرة، لأن اسم الفاعل إذا أريد به الحال أو الاستقبال لا يتعرّف بالإضافة، فعلى هذا يكون جرّه على البدل لا على الصفة، لأن المعرفة لا توصف بالنكرة.

وفي الكلام حذف مفعول، تقديره(مالك أمر يوم الدين) أو (مالك يوم الدين الأمر)، وبالإضافة إلى (يوم) خرج عن الظرفية، لأنه لا يصح فيه تقدير (في) لأنها تفصل بين المضاف والمضاف إليه.

ويقرأ(مالك) بالنصب، على أن يكون بإضمار أعنى، أو حالا، وأجاز قوم أن يكون نداء، ويقرأ بالرفع على إضمار (هو)، أو يكون خبر الـــ: (الرحمن الرحيم) على قراءة من رفع الرحمن، ويقرأ مليك يوم الدين رفعا ونصبا وجرا.

ويقرأ (ملك يوم الدين) على أنه فعل، و(يوم) مفعول أو ظرف.[1]

2-3_ النحو والقرآن الكريم:

لا ريب أن النحاة قد اهتموا بالقرآن الكريم اهتماما يفوق الوصف، فقد كان القرآن مصدرا لدراساتهم وفكرهم، ينهلون من معينه الذي لا ينضب، ولن نغالي إذ نقرر أن الدراسات اللغوية كافة جاءت نتيجة حتمية لخدمة القرآن، وعاشت في ظلّه .

وقد حث رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم على تعلم القرآن ، وتفهم معانيه إذ قال : « القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته »، وركّز صلى الله عليه وسلم على القراءة السليمة إذ قال : « رحم الله امرئ أصلح من لسانه».[2]

وكما ذكرنا سالفا، فإن التوسع الذي عرفته الدولة الإسلامية كان سببا في شيوع ظاهرة اللحن، وبروز بعض الأخطاء اللغوية والإعرابية في هذا الشأن على سبيل الاستشهاد لا الحصر .

قال السيوطي[3]: «وروي أنه قدم أعرابي في زمان عمر فقال: من يقرئني مما أنزل الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فأقرأه رجل براءة، فقال: {إن الله برئ من المشركين ورسوله }، (بالجر) فقال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله؟ إن يكن الله قد برئ من رسوله، فأنا أبرأ منه، فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه، فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إني قدمت المدينة، ولا أعلم بالقرآن، فسألت من يقرئني؟ فأقرأني هذه السورة براءة، فقال: {إن الله بريء من المشركين ورسوله} ، فقلت: أو قد برئ الله من رسوله؟ إن يكن الله قد برئ من رسوله، فأنا أبرأ منه، فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي، فقال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: {إن الله بريء من المشركين ورسوله }فقال الأعرابي: أنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه...، فأمر عمر بن الخطاب أن لا يقرأ بالقرآن إلا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود فوضع النحو».

---

[1] المصدر نفسه: ص 5 – 6.

[2] فتحي عبد الفتاح الدجني: الإعجاز النحوي في القرآن الكريم، مكتبة الفلاح، ط1 سنة 1984م ، ص 108.

[3] السيوطي: التحفة البهية والطرفة الشهية، الرسالة الرابعة ص49 وما بعدها (نقلا عن المرجع نفسه، ص109).

وهكذا نجد الروايات التي ذكرها القدماء تعلل نشأة النحو العربي، وترجعها إلى العامل الديني، وخاصة قراءة القرآن، ونجدها تختلف في النقل، إلا أنها تتفق أن أبا الأسود عندما سمع رجلا يقرأ آية من القرآن خطأ، هاله الأمر، وقام بهذا العمل الجليل، ووضع علامات معينة ساعدت العلماء المسلمين على قراءة القرآن.[1]

وندرج بعض الآيات القرآنية التي استشهد بها سيبويه في كتابه: الكتاب، ونقدمها على سبيل الاستشهاد لا الحصر، نحو قوله تعالى: {مثلا ما بعوضة} البقرة: ٢٦ استشهد بها على قراءة من رفع (بعوضة)، وهي قراءة رؤبة بن العجاج ، أما قراءة الجمهور بالنصب.

وقوله تعالى: ا{لحمد لله رب العالمين} استشهد بها على أنه سمع بعض العرب يقولها بنصب(ربّ)، وقوله تعالى: {وزلزلوا حتى يقول الرسول} البقرة: ٢١٤استشهد بها على قراءة مع رفع (يقول)، ونسبها إلى مجاهد، وهي قراءة أهل الحجاز، والرفع قراءة نافع، وقرأ الباقون بالنصب.

وقوله تعالى: {وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا } الإسراء: ٧٦استشهد بها على جواز النصب(إذن) إذ تقدّمها واو، وذكر أنه سمعها من بعض العرب، وهي شاذّة عن رسم المصحف.

2-4_الدرس البلاغي في القرآن الكريم:

لقد نزل القرآن الكريم فخلب أسماع العرب، وهزّ أفئدتهم، وفاق بيانهم وبلاغتهم، وأطلعهم على لون من البيان لم يألفوه، فغيّر من نظرتهم لفنّ القول، وعمّق أذواقهم في صناعة الكلام، وأصبح لهم ذوق جديد مصطبغ بصبغة الدين والعقيدة الجديدة.

وسنحاول أن نكشف معالم الدرس البلاغي في تلك المرحلة، وسندرج الأمثلة والنماذج القرآنية، وكيف أبان معالمها وفسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف ارتفع الحس البلاغي عند صحابته رضوان الله عنهم.[2]

_عصر الرسالة:

[1] المرجع نفسه: ص110.

[2] البلاغة عند المفسرين: ص47.

لقد كان القرآن الكريم يترل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقرأ على صحابته، ويوضح لهم أحكامه، وكانوا يفهمون أكثر معانيه لأنه نزل بلغتهم، وسلك سبيلهم في التعبير، إذا خفي عليهم شيء منه، كان النبي صلى الله عليه وسلم يبينه لهم مصداقا لقوله تعالى: {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم} النحل: ٤٤

وكدليل على ذلك ما جاء في صحيح البخاري في : كتاب الصوم، باب: قوله تعالى: {وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثمّ أتمّوا الصّيام إلى الليل} عن عدي بن حاتم، قال لما نزلت: {حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود} عمدت إلى عقال أسود، وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك، فقال: «إنما ذلك سواد الليل ، وبياض النهار».1

وفي صحيح البخاري أيضا في: كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: {لا تشرك بالله إن الشّرك لظلم عظيم} لقمان: ١٣عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت الآية: قال الله تعالى: {الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم} الأنعام: ٨٢شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه ليس بذاك، ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه: {إن الشّرك لظلم عظيم} لقمان: ١٣

وما أخرجه البخاري كذلك في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: {فسوف يحاسب حسابا يسيرا} الانشقاق: ٧ – ٨عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس أحد يحاسب إلا هلك قالت: قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلني الله فداك يقول الله عز وجل: {فأمّا من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا} الانشقاق: ٧ – ٨قال: ذاك العرض يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك.2

وواضح في كثير من هذه المرويات أن جانب البلاغة بارز فيها، وكذلك بعض صور المجاز، وإن كان ذلك لم ير بالمصطلح العلمي، لأنه لم يعرف بعد.

الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية،ط 1998م، ص364.الحديث 1916.

[2] نفس المرجع: ص277- 278.

والمؤكد هو أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين من الذكر الحكيم ما يحتاج أصحابه والمسلمون إليه من ألوان البيان من جهة المعاني، أو من جهة الألفاظ، وإذا كان المصطلح البلاغي بالشكل الذي عرف في مرحلة تالية لم يكن مذكورا، إلا أن جوهره وحقيقته، فيما أبانه الرسول صلى الله عليه وسلم وفسره، كان واضحا ومذكورا.[1]

_ تفسير الصحابة:

لقد بدأ أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يترسمون خطاه في التفسير، ويحفظون ما نقل عنه، وقد يزيدون بحذر شديد في شرح لفظ غريب، أو بيان حكمة أو موعظة، ونشأت طبقة القراء في صدر الإسلام تحفظ القرآن، وتلم ببعض التفسير، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبعث بها إلى القبائل يعلمهم القرآن، ويفقههم في معانيه، ومع تحرج بعض الصحابة عن خوض غمار التفسير، والقول في كتاب الله، ومع غلبة الطابع الديني على تفسير من لا يتحرج منهم، فإننا لا نعدم آثارا لتفسير بعض الصحابة في الأول.

وقد يقال إن الصحابة وهم أهل الحجاز، وأصحاب اللغة التي نزل بها القرآن، لم يفهموا بعض الغريب في آيات الله.[2]

من ذلك ما أخرجه: (أبو عبيدة) في: الفضائل عن إبراهيم التيمي، أن أبا بكر الصديق رضي عنه سئل عن قوله تعالى: {وفاكهة وأبّا } عبس: ٣١فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله مالا أعلم.

ونقل عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: {وفاكهة وأبّا } عبس: ٣١فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو الكلف يا عمر[3]، وقد ذكرنا هذه المسألة بالتفصيل فيما مضى.

والمناقشة الشيقة التي جرت بين (ابن عباس)و(نافع بن الأزرق)التي ذكرت سابقا فتفسير ابن عباس لكل كلمة ببيت من الشعر دليل واضح على الاتجاه اللغوي والحس البلاغي الراقي في

---

[1] البلاغة عند المفسرين: ص 49- 50.

[2] نفس المرجع: ص53.

[3] الإتقان في علوم القرآن، ج3/2- 4.

تفسيره، ويحق لنا أن نطلق على منهجه: المنهج الذي يجمع بين الذوق البلاغي والحس اللغوي في تفسير القرآن الكريم باعتبار أن الناحيتين البلاغية واللغوية سمتين بارزتين فيه، وهو يفسر بعض آي القرآن الكريم بروعة في البيان، وقوة الأسلوب.1

والدرس البلاغي تتجلى ملامحه في كتاب: معاني القرآن للفرّاء، مثلا: في الاستعارة، فمن خلال تقريره لهذه الظاهرة الأسلوبية من أساليب الدرس البلاغي واللغة العربية، يقول في بعض المواضع: إنّ من لا يعرف مذاهب العرب في القول فإنه لا يقف على إدراك تلك المعاني....

ففي قوله تعالى: {ولا تتبعوا خطوات الشيطان} البقرة: ٢٠٨

هذه استعارة تصريحية أصلية شبه فيها معقول بمحسوس، والعلاقة ما يترتب على كل من التنقل و الإتباع ، والقرينة استحالة أن يكون للشيطان خطوات مدركة للمخاطبين.2

وفي قوله تعالى: {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس} الأنعام: ١٢٢قال: أي ضالاّ فهديناه، ويفسر النور بأنه الإيمان.3

فاستعمل النور مكان الهدى لأنه أبين، والظلمة مكان الكفر لأنها أشهر4 ، وفي قوله تعالى: {ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا} الإسراء: ٧٢

قال: لم يرد به أعمى العين، إنما أراد به – والله أعلم – عمى القلب، فيقال: فلان أعمى من فلان في القلب، ولا تقل هو أعمى منه في العين.5

وكرر نفس التفسير في قوله: ونحشره يوم القيامة أعمى طه: ١٢٤قال: أعمى عن الحجة.6

✓ **التشبيه:**

---

[1] البلاغة عند المفسرين، ص56- 60- 63.

[2] الفرّاء : معاني القرآن، ت/محمد علي النجار، دار السرور، ج323/2.

[3] المرجع نفسه: ت/أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، ج353/1.

أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصناعيتن(الكتابة والشعر)،ت/د.مفيد قميحة، دار الكتب العلمية-

[4] بيروت- لبنان ط2 1984م،ص297.

[5] معاني القرآن: ج127/2- 128.

[6] نفس المرجع: ج194/2.

من المسائل البلاغية التي أشار إليها الفرّاء في معاني القرآن: التشبيه، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: {فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدّهان} الرحمن: ٣٧

فقال: أراد بالوردة الفرس، والوردة تكون في الربيع إلى الصفرة أميل، فإذا اشتد البرد كانت وردة حمراء، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغبرة أميل، فشبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل، وشبهت الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن، واختلاف ألوانه.[1]

✓ **الكناية:**

وقد أشار إليها في مواطن شتى من كتابه: معاني القرآن، من ذلك قوله تعالى: {شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم} فصلت: ٢٠ فقال: الجلود هنا – والله أعلم – الذكر، وهو مما كنّى به الله عز وجل كما قال: {أو جاء أحد منكم من الغائط} النساء: ٤٣والغائط: الصحراء، والمراد من ذلك: أو قضى أحدكم حاجة.

✓ **التكرار:**

وقد أشار إلى التكرار، وهدفه البلاغي في مواضيع شتى منها: قوله تعالى: ك{لاّ سوف تعلمون ثمّ كلاّ سوف تعلمون} التكاثر: ٣ – ٤

فقال: الكلمة قد يكررها العرب على التغليظ، والتخويف، وهذا من ذاك.

وأمثلة الدرس البلاغي وحضوره في كل أساليب القرآن في كتاب معاني القرآن للفرّاء كثيرة يطول استقصاؤها، ومن التقديم والتأخير والحذف، والانتقال من مخاطبة الشاهد إلى الغائب، وهو ما عرف بالالتفات بعد ذلك.

وأشار إلى البعض الذي يراد به الكل، والإخبار عن الواحد بالاثنين، أو الجمع، واستعمال اللفظ في معنى الضد.[2]

كما تتجلى ملامح الدرس البلاغي كذلك في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة:

---

[1] نفس المرجع: ت/عبد الفتاح إسماعيل شلبي، وعلي النجدي ناصف، ج117/3.

[2] نفس المرجع: ج287/3.

✓ **خروج الاستفهام:**

أول من خرج بالاستفهام عن المعنى الوضعي إلى معان أخرى بلاغية، هو أبوعبيدة صاحب مجاز القرآن، وذلك في تفسيره للاستفهام في كثير من آيات القرآن، من ذلك قوله تعالى: {سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون} البقرة: ٦

ويقول هذا الكلام هو: إخبار خرج مخرج الاستفهام، وليس هذا إلا في ثلاثة مواضع، هذا أحدها... والثاني لا أبالي أقبلت أم أدبرت؟...والثالث: ما أدري أوليت أم جاء فلان.1

ومن الأمور المسلّم بها أن أصل الاستفهام، هو طلب فهم ما هو غير مفهوم عند المستفهم، فإذا استعمل الاستفهام في غير هذا، فقد خرج إلى غير جهته . وهذا ما فطن له أبو عبيدة، فرأى أن الاستفهام في قول علام الغيوب {إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون} إنما هو إخبار من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بأن الكافرين لا يؤمنون في حال إنذارهم، وترك الإنذار. ولا ريب أن هذا خبر محض، وإن جاء في صورة الاستفهام.2

✓ **المجاز المرسل:**

ومن المجاز المرسل المختلف العلاقات غير ما تقدم في خروج الاستفهام نجد أبا عبيدة في تناوله لبعض الآيات من القرآن، وتفسير لها، يقول في قوله تعالى: {والسّماء بنيناها بأيد} الذاريات: ٤٧ أي: بقوّة، فهذا مجاز مرسل علاقة الآلية أو المحلية، لأن اليد آلة القوّة ومحلها، ووجه اليد في موضع آخر بأنها (الخبر).3

وفي قوله تعالى: {ويقبضون أيديهم} التوبة: ٦٧ أي: يمسكون أيديهم عن الخير والصدقة يقال: قبض فلان عنا يده، أي منعنا.4

---

[1] أبو عبيدة: مجاز القرآن، ج13/1، ()

[2] المصدر نفسه: ج38/1.

[3] المصدر نفسه: ج19/1.

[4] المصدر نفسه: ج65/1.

فاستعمال قبض اليد في المنع يجوز جعله مجازا مرسلا، علاقته السببية، ويجوز اعتباره كناية عن صفة البخل، ويجوز جعله استعارة تمثيلية بأن تشبه هيئة البخيل بهيئة القابض على يديه، في أن كلاّ من البخيل والقابض، لا يفعلان الخير1

وفي تفسيره لقوله تعالى: {لكم فيها دفء ومنافع} النحل: ٥

قال: ما استدفئ به من أوباها، ومنافع سوى ذلك،2 وهذا مجاز مرسل ، علاقته اعتبار ما يكون.

✓ **الاستعارة:**

كتابه حافل بهذا النوع من الدرس البلاغي، حيث أشار إلى عدة أنواع من الاستعارة، فقد أشار إلى الاستعارة التصريحية بفرعيها: الأصلية والتبعية، كما أومأ إلى صدور من التبعية، كالتجوّز في معنى الفعل، وفي زمنه، وفي معنى الحرف، والاستعارة المكنية، وصرح باسم الكناية، وهي كما هو معلوم فيها جانب الحقيقة وجانب المجاز.3

وسنذكر أمثلة ونماذج من تفسيره لتلك الصور من صور الاستعارة، تتجلى في: تفسيره لقوله تعالى: فمن يكفر بالطّاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى البقرة: ٢٥٦

يقول: شبه بالعرى التي يتمسك بها.4

وتفسير أبي عبيدة هنا صريح في فهم المجاز، والإشارة إليه حيث أدرك أن الإيمان الحق شبّه صاحبه بمن يمسك بعروة وثقى، وهي عقدة الحبل، ومن كان هذا حاله فهو متثبت بما استمسك به.5

وهذا كما يقول الزمخشري: وهذا تمثيل للمعلوم، والنظر، والاستدلال بالمشاهد المحسوس، حيث يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه، فيحكم اعتقاده، والتيقن به1.

---

[1] البلاغة عند المفسرين: ص 111.

[2] مجاز القرآن ج128/1.

[3] البلاغة عند المفسرين: ص115.

[4] مجاز القرآن: ج31/1.

[5] البلاغة عند المفسرين: ص 116.

وفي تفسيره لقوله تعالى : {ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا} البقرة: ٢٨٦

يفسر " الإصر " بالثقل. 2

فقد استعير (الثقل) وهو الحمل المادي للإصر، بمعنى التكليف الشاق، وهو أمر معنوي، وسمي الإصر إصرا لأنه يأصر صاحبه، أي يحبسه، فكأنه لا يستقل به لثقله، واستعير للتكليف الشاق من نحو قتل النفس في التوبة، وقطع موضع النجاسة من الثوب، والجلد، وغير ذلك.3

فهذه استعارة تصريحية أصلية، شبه فيها التكليف الشاق على النفوس بالحمل الثقيل على الحامل بجامع ما يترتب على كل من المعاناة والخطر.4

فهذه الاستعارة المكنية، فقد أشار إليها في عدة مواضع دفعة واحدة.

✓ **الكناية:**

لم يفت أبا عبيدة أن يصرح باسم الكناية، ويخرج عليها بعض الآيات القرآنية، ومن إشاراته في مجازه للكناية، ما قاله في تفسيره لقوله تعالى: {أو جاء أحد منكم من الغائط} النساء: ٤٣قال: كناية عن حاجة ذي البطن، والغائط الفجّ من الأرض المتصوّب، وهو أعظم من الوادي.

ثم كرر القول فيه في موطن آخر، فقال: كناية عن إظهار لفظ قضاء الحاجة في البطن.

وطبق نفس التفسير على قوله تعالى: {أو لامستم النساء} النساء: ٤٣ فقال: كناية عن الغشيان.5

وما ذهب إليه في (الغائط)، أحد الوجوه الجائزة في الآية الكريمة، ومنها اعتبار الغائط مجازا مرسلا، علاقته المكانية من تسميته الشيء باسم محلّه الغائب عليه.

---

[1] الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة – بيروت، لبنان- ج1/ص387.

[2] مجاز القرآن: ج33/1.

[3] الكشاف: ج408/1.

[4] البلاغة عند المفسرين: ص 116- 117.

[5] مجاز القرآن، ج59/1.

كما يجوز محل الكلام على حقيقته لأن ما يجب منه الوضوء غائط فعلا سواء كان ماء أو غيره.

أما ملامسة النساء فهي تتردد بين ثلاثة احتمالات:

أحدها: ما ذكره أبو عبيدة، وهو الكناية عن الجماع.

والثاني: أنه مجاز لا كناية.

والثالث: أنه حقيقة عند من يرى أن لمس النساء باليد ونحوها ناقض للوضوء...[1]

✓ **المجاز والحذف:**

لم يخل القرآن لأبي عبيدة من الحديث في عدة مواضع عن المجاز بالحذف ، فقد أشار إلى ذلك عند شرحه لقوله تعالى في شأن اليهود: وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم البقرة: ٩٣

قال في تفسيره:" سقوه حتى غلب عليهم: مجازه مجاز المختصر ".

" أشربوا في قلوبهم حب العجل " وفي القرآن {وسئل القرية التي } يوسف: ٨٢

مجازه: أهل القرية.[2]

فهذا له – بلاغيا – تفسيران، إما أن يكون مجازا عقليا بإيقاع الفعل على ما ليس له في الآيتين والعلاقة المكانية فيهما، لأن العجل مكان الحب، والقرية مكان الأهل، وإما أن يكون مجازا مرسلا بإطلاق المحلّ ، وإيراد الحال، والقرينة هي استحالة اشراب العجل من حيث أنه عجل، وسؤال القرية من حيث أنها قرية.

والسر البلاغي في كل منهما: الاعتناء ببيان المعنى المراد، ففي الصورة الأولى، كأنهم من شدة حبهم العجل كادوا يضعونه في قلوبهم بلحمه وعظمه ودمه، وفي الصورة الثانية ادعاء إخوة

[1] البلاغة عند المفسرين: ص 124 – 125.

[2] مجاز القرآن: ج03/1.

يوسف أن أمر سرقة أخيه " بنيامين " قد اشتهر، وذاع حتى كادت القرية ، وهي جماد تقربه، ولو سئلت عنه.[1]

هذا ما كان في صميم الدرس البلاغي عند دارسي القرآن ومفسريه في تلك المرحلة من الزمان، والخلاصة أن الفرّاء وأبا عبيدة يؤكدان حضور الدرس البلاغي في الدراسات القرآنية، وفي تفسير الذكر الحكيم منذ القرن 2 الهجري.

فقد كان الدرس البلاغي عند الفرّاء أكثر ظهورا وعمقا ووفرة، وكان عند أبي عبيدة ، حيث طرق مناحي بلاغية عدّة.

وما يلاحظ كذلك على الفرّاء وأبي عبيدة أنهما متحدان في موضوع الدراسة، وهو القرآن الكريم وتفسيره.[2]

وتتضح لنا أهمية اللغة ومكانتها في تفسير القرآن الكريم، في نظر الليث من قوله : " لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن برأيه ما لم يتعلّم، ويعرف وجوه اللغة وأحوال التنزيل..."

إنها أداة أصيلة، وركن ركين وكيف ينبغي توافره فيمن يتصدى للتفسير. [3]لكن لا نقف عند هذا الحد، فالقرآن الكريم لا زال ولا يزال المنبع الذي يغرف منه السابق واللاحق .

---

[1] البلاغة عند المفسرين: ص126 – 127.

المصدر نفسه: ص 129 – 130.

[2]

[3] المصدر نفسه: ص 44200.

الفصل الثالث

التفسير و المفسرون (قبل عائشة عبد الرحمن)

1.3 مفهومه
2.3 أسباب التفاوت بين التفاسير
3.3 أنواعه
4.3 منهج الاوائل في التفسير
5.3 الإتجاهات المعاصرة
6.3 المدارس الحديثة في تفسير القران الكريم

الفصل الثالث

- التفسير و المفسرون قبل عائشة عبد الرحمان

يعتبر مجمع البيان من أحسن التفاسير وأجمعها لفنون العلم وأحسنها ترتيبا.

اشتمل على كل النواحي التي لها اتصال بتفسير القرآن، فنراه يتكلم عن المعاني اللغوية للمفردات، ويذكر أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ والقراءات الواردة مع توجيهها، كما أنه لا يفصل الناحية البلاغية، ولا يهمل الأحكام الفقهية.

إن هذا الكتاب يعتبر من الكتب المرجعية في إعراب القرآن. ويذكر في كل مقام ما روي عن أهل البيت في تفسير القرآن، ويذكر آراء أهل السلف والخلفاء.

3-1_ مفهومه :

وقبل أن نتطرق إلى الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن الكريم، لا بأس أن نشير إلى معنى التفسير، وبعض أنواعه – فيما نحن بصدده – فالتفسير له دلالتان، إحداهما لغوية، والأخرى اصطلاحية، كما درج الباحثون في مثل هذه المواضيع أن يتعرضوا إلى معنى اللفظ في اللغة، ثم إلى معناه في الاصطلاح، وكل من المعنيين يُمتُّ إلى الآخر بصلة، فالتفسير مصدر على وزن تفعيل، فعله الماضي رباعي مضعف : (فسّر)، تقول : فسّر، يُفسّر، تفسيرا، ومادة الكلمة، جذرها الثلاثي (فسْرٌ). (1)

***والتفسير في اللغة** : هو الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى : « ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا » [الفرقان/33]، أي بيانا وتفصيلا، قال ابن منظور في "لسان العرب" في مادة فسر، من حرف الراء، فصل الباء: « الفسر : البيان، فسّر الشيء يفسره بالكسر، وتفسُرُهُ بالضم فسرًا، وفسّره: أبانه، والتّفسير مثله، ابن الأعرابي: التفسير والتأويل والمعنى واحد، وقوله عز وجل: « وأحسن تفسيرا »، ثم قال الفسْرُ: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل: ردُّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الدهر، وقال : اسْتفْسرتُه كذا، أي سألته أن يفسّره لي، كما قال الفسْرُ: نظر الطبيب إلى الماء، وكذلك التفسرة، قال الجوهري: وأظنه مولّدًا، وقيل : التّفسرة: البول الذي يُستدل به على المرض، وينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علة العليل، وهو اسم كالتنهية، وكل شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه، فهو تفسرته ». (2)

فمعنى تفسير الكلام: بيان معناه، وإظهاره وتوضيحه، وإزالة الإشكال واللُّبس عنه، والكشف عن المراد به.

وإضافة المصدر (تفسير) إلى (القرآن) يجعل لهذا المركب الإضافي (تفسير القرآن الكريم) معنًى خاص يتعلق بالقرآن الكريم. (3)

وبهذا فالتفسير في الاصطلاح، كما عرفه الزركشي هو: « علم يُفهم به كتاب الله على نبيه صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة.

---

[1]- الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي : تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم – دمشق، ط1 (1423هـ/2002م)، ص 23.

[2]- ابن منظور : لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر، ج 55/5.

[3]- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين : ص 24.

والنحو والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ ».(1)

وعرفه أبو حيان بأنه: « علم لكيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفراديّة، والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب، و تتمات ذلك ». (2)

ويرى بعض العلماء أن التفسير ليس من العلوم التي يتكلف لها أحد، لأنه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية، ويكتفي بإيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله، أو أنه المبين لألفاظ القرآن، و مفهوماتها، ويرى بعض آخر أن التفسير من قبيل المسائل الجزئية، أو القواعد الكلية، أو الملكات الناشئة من مزاولة القواعد، فيتكلّف له التعريف، فيذكر في ذلك علوما أخرى، يحتاج إلها في فهم القرآن، كاللغة، والصرف، والنحو، والقراءات، وغير ذلك ... (3)

وقد نجد بعضهم يعرفه بأنه: « علم نزول الآيات، وشؤونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيّدها، ومجملها ومفصّلها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها ». (4)

ويعرف الإمام محمد الطاهر بن عاشور علم التفسير بأنه: « التفسير : اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن، وما يستفاد منها، باختصار أو توسع »(5)، وإذا نحن تتبعنا أقوال علماء الذين تكلّفوا الحد للتفسير، وجدناهم قد عرّفوه بتعاريف كثيرة، يمكن إرجاعها كلّها إلى واحد منها، فهي وإن كانت مختلفة من جهة اللفظ، إلا أنها متحدة من جهة المعنى، وما تهدف إليه.

---

[1]- الزركشي : البرهان في علوم القرآن، ت/محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا – لبنان، ط2، ج 13/1.

[2]- انظر : مباحث في علوم القرآن : ص 324، وانظر، محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون، انظر ج 14/1.

[3]- التفسير والمفسرون : ج 14/1.

[4]- السيوطي : الإتقان في علوم القرآن، ت/محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا – لبنان، (1408هـ/1988م)، ج 169/4.

[5]- محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، تونس- 1984، ج 11/1.

وما يلاحظ على التعريفات التي أدرجناها، أنها تتفق كلها في أن علم التفسير هو علم شامل، يبحث في مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

والخلاصة في تعريف علم التفسير هي:

تفسير القرآن: علم يتم به فهم القرآن، وبيان معانيه، والكشف عن أحكامه، وإزالة الإشكال، والغموض في آياته. (1)

والتفسير نوعان، تفسير لا يتجاوز شرح الألفاظ، وإعراب الجمل، وبيان ما يحتويه القرآن من ذلك، وتفسير يتجاوز حدود الإعراب، ويكتشف تعاليم القرآن، و يغوص في أسراره، ومكنوناته.(2)

وقد تعددت اتجاهات التفسير باتساع نطاقه، حيث تعددت مجالاته، وكثرت، وأصبح صاحب كل فن يجد في النص القرآني ما يناسبه في مجال بحثه، فاللغوي يجد مادته في النص القرآني، إذ يجد فيه علما غزيرا، وفائدة جمة، كما يجد البلاغي في القرآن ألوان الفصاحة والبلاغة في شتى صورها، والفقيه يجد الأحكام الفقهية التي تنطق بها الآيات القرآنية، كما ظهر الاتجاه النحوي في التفسير ككتب إعراب القرآن، وبيان معانيه من خلال العلاقات النحوية القائمة بين مفرداته، وتراكيبه، وأخرى تبين مدى ثراء القرآن، واحتوائه على معارف عدة، وعلوم متنوعة يتسع لها الأسلوب القرآني، وتحفل بها نصوصه. (3)

وما يهمنا هنا هو الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن الكريم، فقد عُني به المسلمون الأوائل أيّما اعتناء، وقد بدأ وضع هذه الأسس اللغوية للتفسير في مكة على يد : "عبد الله بن عباس"، فقد استعان بالشعر الجاهلي، وما كان يردده فحول اللغة في صدر الإسلام في تفسير ما يقابله من الألفاظ الغريبة في النص القرآني. (4)

وكان هذا الاتجاه اللغوي في التفسير يهدف إلى بيان الألفاظ والتراكيب، وما تفيده من معان من خلال فهم الأساليب والأغراض.

---

[1]- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين : ص 24.

[2]- انظر، محمد صالح الصديق : البيان في علوم القرآن، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 284.

[3]- انظر : التفسير ومناهجه (النص وتفسيره)، ص 170.

[4]- انظر : المرجع نفسه، ص 170 – 171.

وبهذا، فإن من أهم العلوم التي يحتاج إليها المفسر، أثناء تفسيره للقرآن الكريم تفسيرا مقبولا هو: علم اللغة لأن به يمكن شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، قال ابن مجاهد: « لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب ».

فاللغة العربية – لغة القرآن – تقوم على أسس في الاشتقاق، والتصريف والمعنى.

فلابد للمفسر من أن يكون عالما بهذه اللغة وفقهها، واشتقاقها، وتصريفها، ومطلّعا على أصول كلماتها، وجذور ألفاظها، ودارسا في أشهر كتب المعاجم التي تخصصت في هذا.

والعلم بالنحو، والصرف، والإعراب ضروري كذلك لحُسن الكلام، لأن معنى الكلام يتغير ويختلف باختلاف وجوه الإعراب، لأن الإعراب تابع للمعنى، وكذلك العلم بالصرف، وصيغ بناء الكلمة وتصريفاتها. وهذه العلوم تقود المفسر إلى حُسن فهم الجملة القرآنية، من حيث بناء كلماتها الصرفي، ومن حيث موقع كلماتها من الإعراب، وهذا يقود إلى حُسن فهم القرآن وتفسيره.

كما يجب أن يكون على دراية تامة بعلوم البلاغة الثلاثة: المعاني –البيان – البديع، وأن يكون عارفا بمباحثها، وموضوعاتها، ومسائلها، وذلك ليتعرف على ألوان وآفاق البلاغة القرآنية المعجزة، ويتعرف على موضوعات علم المعاني القرآنية، وأساليب البيان في القرآن، والبديع على ضوء القرآن، والتصوير الفني في القرآن، وخصائص التعبير القرآني.

ولابد للمفسر من أن يتقن تلاوة القرآن، مراعيا أحكام الترتيل المعروفة، بأن يتلقى أحكام الترتيل، وتطبيقها من إمام متقن للترتيل، وبعد إتقان المفسر لأحكام ترتيل القرآن، لابد أن يكون عالما بالقراءات القرآنية الصحيحة، فبمعرفة القراءة يمكن ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

وبهذا فإن معرفة اللغة العربية : نحوا – صرفا – إعرابا – بلاغة – بيانا – معاني كلمات واشتقاقات وتصريفات – ضرورية للمفسر، ليحسن فهم القرآن وتفسيره. (1)

ومن الأمثلة على تفسير القرآن الكريم باللغة العربية :

لما فسر الإمام الطبري قوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين » [الفاتحة/02].

فسر معنى "ربّ" في اللغة، وذكر أن كلمة (الرّب) ترد في اللغة على ثلاثة معان :

[1]– انظر : تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ص 55، 56، 57، 75.

1 - الرّب = السيد المطاع، واستشهد على ذلك بشعر للبيد بن ربيعة.

2 - الرّب = المصلح، واستشهد على ذلك بشعر للفرزدق، ولعلقمة بن العبد.

3 - الرّب = المالك.

واعتبر هذه المعاني الثلاثة تشملها كلمة (الرّب) التي هي اسم الله سبحانه، قال : « فربنا جل ثناؤه السيد الذي لا شبه له، ولا مثل في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر ». (1)

والأمثلة – سيأتي ذكرها – في رحاب هذا البحث.

وهكذا تتجلى لنا حاجة القرآن وتفسيره للّغة العربيّة، وحاجة اللّغة العربيّة للقرآن الكريم، لصونها والحفاظ عليها من الزوال والاندثار، فهما مكملان لبعضهما، ولا يمكن الفصل بينهما، ومن خلال ما تقدم ذكره يبرز لنا دور اللّغة الفعّال في تفسير آي الذكر الحكيم.

2-3_ أسباب التفاوت بين التفاسير

ومنشأ ذلك هو اختلاف مصادر الثقافة التي تأثر بها التفاسير الذي خلفه السلف يختلف بعضه عن بعض في اتجاهاتها ومشاربها اختلافا واضحا، إن تراث الناحية اللغوية من بلاغة وبيان فأولى عليه النزعة الدينية توسع في شرح العقيدة وأركان الإسلام، ومنهم من غلبت عليه أصحاب هذه التفاسير، فمن غلبت المعاملات والحقوق عليه النزعة الفقهية التشريعية فانصرف إلى استنباط الأحكام والقوانين الدينية في هذه الأبحاث اهتمامه في تفسيره منهم من غلبت تفسير الآيات الحياة الدنيا يعين الزهد فيها والتأمل في تقلباتها والاعتبار بصرفها فاجتهد في الواجبات ومنهم من تعلقت نفسه بالعبادة والتصوف والنظر إلى طاعته على منهج الوعظ والتذكير بخشية الله والعمل على مرضاته.

كما أن بعض التفاسير القديمة مليئة بالكثير من الآراء التي لا تخلو من الخطأ والصواب والراجح منها وبعض التفاسير المفسر في العصر الحديث أن آراء متعددة ومتشعبة، وقد تكون للآية الواحدة في نظرهم عدة وجوه مختلفة، وواجب قديمهم حديثهم لهم في تفسير الآيات منها ليبين

[1]– انظر، الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 1/48.

عوامل الضعف والخطأ فيها، وقد يقتضي الأمر البحث عن رأي آخر أقرب للحق يمحص ويقارن بين هذه الآراء ويكشف عن الآراء الضعيفة صحيح تماما من القوانين العلمية والصواب دون مجافاة أو معارضة لنصوص الدين ومنهجه ولا بأس من الاستعانة بكل ما هو مختلف العلوم بل هو كتاب هداية، لأنه لو نزل مفصلا القرآن لم يتزل ليكون كتاب طبيعة أو كيمياء أو فلك أو طب أو تاريخ أو غير ذلك من ويدهى أن والجهالة والضلال والشرور والمفاسد فهمه العرب الأميون وقتئذ، و لم يؤد القرآن رسالته التي نزل من أجلها وهي نزع الشرك للنظريات العلمية الحديثة لـــ بأساليب الوعد الملكية التي نزلت خلال ثلاث عشرة سنة تدعو بصفة عامة إلى التوحيد ومحاربة الشرك المتأصلة في النفوس، وقد كانت أكثر الآيات المدنية بعد ذلك لكي تمكن الإيمان في القلوب وتدعو إلى أهداف أخرى تقوم على الوعيد والترغيب والترهيب والتفقه في أصول الدين، ثم نزلت الآيات سياسة الجماعات والدول الرشيدة وتنظيم المجتمع وبث روح الأخوة والتعاون والحض على الجهاد في سبيل الله وغير ذلك من التشريع.

ذلك مما يستلزم الإجابة عليه الدخول في تفاصيل علمية صلى الله عليه وسلم إذا وجه إليه سؤالا عن أمور كونية أو مسائل طبيعية أو غير وكان النبي قوله تعالى في سورة البقرة آية سبحانه يوحى إلى رسوله بإجابات سديدة مبسطة تقبلها العقول قبولا حسنا، فمن ذلك مثلا فوق مستوى ثقافة عصره فإن الله الأوقات وهكذا يأتي الجواب سهل الفهم كافيا للإقناع بأن اختلاف أوجه القمر هي لحكمة معرفة « 189: يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج » وبخاصة مواقيت الشهور ومواعيد الحج التي تهم السائلين.

لابد من معارضتها ودحضها بإعادة النظر في بعض التفاســـــير القديمة آراء غير صحيحة وتأويلات خاطئة لا تقبلها العقول السليمة فكان وقد جاءت في المتفتحة ذلك وترك القديم على قدمه وخطأه هو نوع من الجمود والتخلف وحجر على العقول والقلوب تفسيرها على وجهها الصحيح لأن السكون على الرؤية حقائق القرآن بنور العلم والإيمان.

3-3_أنواعه:

و ينقسم التفسير إلى نوعين :

الأول: تفسير جاف لا يتجاوز حل الألفاظ، و إعراب الجمل، و بيان ما يحتويه نظم القرآن من نكات بلاغية، و إشارات فنية، و هذا النوع أقرب إلى التطبيقات العربية منه إلى التفسير و بيان مراد الله من هداياته.

الثاني: تفسير يجاوز هذه الحدود، و يجعل هدفه الأعلى تجلية هدايات القرآن، و تعاليمه، و حكمة الله فيما شرع للناس في القرآن، على وجه يجتذب الأرواح، و يفتح القلوب، و يدفع النفوس إلى الاهتداء بهدي الله، و هذا هو الخليق باسم التفسير، و فيه يساق حديث هذا الموضوع.

و تسهيلا للبحث نقسم التفسير إلى عدة أنواع حسب الموضوعات الأساسية التي اهتم بها:

1 - التفسير بالمأثور

2 - التفسير بالرأي.

أ - بالرأي الجائـــــز.

ب- بالرأي المذمـــــوم.

3 - التفسير الصوفي.

4 - التفسيـــــر الفلسفي.

5 - التفسير الفقهي.

6 - التفسير العلمي.

7 - التفسير الاجتماعي.

8 - التفسير الأدبي.

- التفسير بالمأثور.

ويسميه بعضهم: التفسير بالرؤية، و نعني به: ما جاء في القرآن، أو السنة، أو كلام الصحابة الثابت الصحيح بيانا لمراد الله تعالى من كتابه.

إن شرط المفسر–قبل كل شيء– أن ينظر في كتاب الله نفسه، فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد، و يقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مسهبا على معرفة ما جاء موجزا، و بما جاء مبينا على ما جاء مُجملا، و بهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن ، و فهم مراد الله بما جاء عن الله.

المصدر الأول من مصادر التفسير بالمأثور :

فمن تفسير القرآن بالقرآن قصة إبليس، جاءت موجزة في موضع، و مسهبة مفصلة في موضوع آخر، و كذلك قصة فرعون و موسى.

قد يرد لفظ مبهم في القرآن في موطن، ثم يأتي بيانه و تفسيره في موطن آخر، مَثَلُ قوله تعالى: ﴿الذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ (1) فقد فسرت كلمة "الظُّلم" في آية أخرى، و هي قوله تعالى ﴿ إِنَّ الشِرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (2) .

و قد يكون الظاهر المتبادر من آية بحسب الوضع اللغوي غير مراد، و أن المراد غيره بدليل آية قرآنية أخرى، كما في قوله تعالى :﴿ الطَلاقُ مَرَّتَانِ﴾ (3) فإن الظاهر المتبادر إلى الذهن من ظاهر اللفظ أن الطلاق كله محصور في مرتين، و لكن الله تعالى بين أن المراد بالمحصور في المرتين خصوص الطلاق الذي يملكه الرجل بعد الرجعة، لقوله تعالى ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ من بعد حتى تنكح زوجا غيره﴾ (4).

و قد يذكر الله تعالى لفظا عاما في آية ثم يذكره في أخرى موضحا المراد منه و المخصوص كقوله تعالى : ﴿ و من يعظم شعائر الله ﴾ (5) فالشعائر عامة، أو غامضة الدلالة، ثم فسرت بآية أخرى: ﴿ و البدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾ (1) . و هكذا .

---

[1]–الأنعام 82.

[2]– لقمان 13.

[3]– البقرة 229.

[4]– البقرة 230.

[5]– الحج 36.

المصدر الثاني من مصادر التفسير بالمأثور:

أما تفسير القرآن بالسنة، فمصدر آخر من مصادر التفسير بالمأثور ذلك أن الصحابة كانوا يعولون في تفسير كتاب الله على رسوله، فيبين لهم ما خفي عليهم أو أشكل، مصداقا لقوله تعالى: ﴿و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم و لعلهم يتفكرون﴾ (2) . و تفسير الرسول الكريم للقرآن قد يكون:

أ) تفسيرا للفظ القرآني كما في قوله تعالى: ﴿ و اعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾(3) فقد فسر الرسول هذه القوة بالرمي حين قال: " ألا القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي".

ب) و قد يقرر القرآن أصلا فتورد السنة التطبيقات العملية بيانا له، كما قوله تعالى: ﴿ و لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ (4) فبينت السنة أنواع هذا الباطل كالربا، و الغش و نحو ذلك.

ج) و قد تشرح السنـــــة كليات القرآن و مجملاته، كبيان السنة لأنواع الأموال التي تجب فيها الزكاة، و مقدار النصاب فيها، و المقدار الواجب فيها.

د) و قد تقيم السنة قواعد عامة مستمدة من وقائع جزئية من القرآن الكريم كقوله عليه السلام: " لا ضرر و لا ضرار".(5)

و في تفسير الرسول العظيم للقرآن لابد أن ندلي بهذه الملاحظـــة، و هي أن القـــصاص و الوضاع زادوا في هذا النوع من التفسير كثيرا، و نسبوا إلى رسول الله ما لم يقله، و ليس أدل على ذلك مما أخرجه الحاكم عن أنس انه قال: سأل رسول الله عن قوله تعالى: ﴿ و القناطيـــــر

---

[1]- الحج 36.

[2]- النحل 44.

[3]- الأنفال 60.

[4]- البقرة -188.

[5]- انظر بحث محمد رواس قلعه جي المقدم إلى وزارة الأوقاف، ص54.. الحديث رواه احمد و الطبراني عب ابن عباس كما رواه ابت ماجة و الابهيقي عن عبادة بن الصامت.

المقنطـــــرة ﴿ فقال : "القنطار ألف أوقية"، و ما أخرجه أحمد و ابن ماجة عن أبي هريرة قال: قال رسول اله صلى الله عليه و سلم : "القنطار اثنا عشر ألف أوقية".(1)

مثل هذا التناقض في مقدار وزن القنطار لا يمكن أن يصدر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و لهذا رد العلماء كثيرا مما ورد من التفسير منسوبا إلى رسول الله عليه السلام، و قد نقل عن الغمام احمد أنه قال: ثلاثة ليس لها أصل: التفسير، و الملاحم، و المغازي.

و يبدو أن مراده من إبكارها أن ليس لها أسانيد صحيحة متصلة. (2)

المصدر الثالث من مصادر التفسير بالمأثور اجتهاد الصحابة:

و تفسير يقف في قوته في المرتبة الثالثة بعد المصدرين السابقين، ذلك لأنهم شهدوا الوحـــــي، و عاشوا مع محمد عليه السلام، و نشأوا في الجزيرة العربية، و العربية لسانهم، و هم أدرى الناس بأحوال اليهود و النصارى في بلادهم، و هم قبل كل شيء تلامذة محمد عليه السلام.

مع هذا ، فلسنا ندعي أن الصحابة جميعا كانوا على حد سواء في الفهم، غنهم لم يكونوا بمرتبة واحدة، لذلك فقد اختلفوا في فهم بعض معاني القرآن ، و إن كان اختلافهم يسيرا بالنسبة إلى طبقة التابعين بعدهم، ثم طبقة تابعيهم و هكذا.

و من أمثلة اختلاف فهم الصحابة ما روي من أن عمر بن الخطاب استعمل قُدامة ابن مظعون على البحرين، فقدم الجارود على عمر فقال: إن قدامةَ شربَ فَسَكَرَ. فقال عمر: يا قدامة إني جالدك. قال: و الله لوشربت كما يقول ما كان ل كان تجلدني. قال عمر: و لم ؟ قال: لان الله يقول: ﴿ ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا اتقوا و امنوا و عملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا و أحسنوا ﴾ (3)، فانا من الذين آمنوا و عملوا الصالحات، ثم اتقوا و آمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا، شهدت مع الرسول صلى اله عليه و سلم بدرا، و أُحُدا، و الخندق، و المشاهد. فقال عمر: ألا تردون عليه قولـــــه؟ فقال ابن عباس: إن هذه الآيات أنزلت عذرا للماضين، و حجة على الباقين، لان الله يقول: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما

---

[1]-انظر فجر الإسلام، ص 465،و محمد حسين الذهبي، التفسير و المفسرون، 47/1. و قد حقق الحافظ ابن كثير.

[2]- الإتقان 141/2.

[3]- المائدة 93.

الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشيطان ﴾ (1). قال عمر: صدقت و هذا المثل يدل على اختلاف فهم قدامة عن فهم ابن عباس، كما يدل في الوقت ذاته على العقل الكبير الذي كان يتحلى به عمر، و على موقفه العظيم في قضائه حين كانت تعرض عليه دعوى، فيستشير فيهان ثم يحكم.

المصدر الرابع في التفسير بالمأثور أهل الكتاب من اليهود و النصارى، ذلك أن القرآن الكريم يتفق و التوراة في بعض المسائل، و لا سيما في قصص الأنبياء، و أخبار الأمم الماضية، و كذلك يتفق و الإنجيل في مواضع وردت في كليهما كميلاد السيد المسيح و معجزاته عليه السلام.

غير أن القرآن اتخـــــذ له منهجا يخالف منهج التوراة الإنجيل، غذ لم يتعرض لجزئيات المسائل، و لم يستوف القصة مع جميع جوانبها، و غنما اقتصر من ذلك على موضع العبرة فقـــــط.

و لما كان العقل الإنساني ميالا إلى الاستيفاء و الاستقصاء، جعل بعض الصحابة يرجعون في استيفاء هذه القصص إلى من دخل في الإسلام من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، و كعب الأخبار و غيرهما.

نريد أن نقول : إن هذا المصدر كان ضيقا و محدودا، لأمور مختلفة منها ما يتصل بنظرة المسلمين إلى التوراة و الإنجيل، و منها ما يتصل بالعقيدة الإسلامية ذاتها .

و كان أخذ المسلمين من أهل الكتاب محصورا فيما لا يتعارض و العقيدة، أما ما تعارض فقد كانوا يرفضونه و لا يصدقونه. أما ما كان مسكوتا عنه، لا يتفق و لا يختلف، فيتوقفون فيه، و لا يحكمون عليه بصدق أو كذب امتثالا لقول الرسول الكريم: لا تصدقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم، و قولوا: آمنا بالله و ما انزل إلينا...

لقد اشتهر من مفسري الصحابة: الخلفاء الراشدون/ و ابن مسعود، و ابن عباس، و أُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، و أبو موسى الأشعري، و عبد الله بن الزبير...

ويختلف هؤلاء في كثرة تفسيرهم و قلته اختلافا واضحا، و يبقى ابن عباس ثم ابن مسعود في طليعتهم.

---

[1]- المائدة 90.

أما ابن عباس فابن عم النبي عليه السلام و تلميذه. كان يلقب بالحَبْر و البحر لكثرة علمه، و كان على درجة عظيمة من الاجتهاد و المعرفة بمعاني كتاب الله. و كان عمر يعتمد عليه اعتمادا كبيرا في هذا الموضوع.

و تتفق الروايات على أن ابن عباس كان يفهم القرآن في ضوء القرآن أولا، و السنة ثانيا، و اجتهاده ثالثا، و الرجوع إلى أهل الكتاب – بالشروط التي ذكرناها-.

و لقد استغل المستشرق اليهودي جولدزيهر في كتابه "المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن" سؤال ابنة عباس أهل الكتاب، فاتهمه بمخالفة أمر الرسول الكريم بالنهي عن ذلك "لا تصدقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم" ، و هذا الاتهام طعن في دين ابن عباس أولا. و العجيب أن المرحوم احمد أمين قد أُخذ بالمظهر العلمي للمستشرق، و غرته عباراته المنمقة، و هالته فكره المزوقة، فأعاد ما قال المستشرق عن ابن عباس ، و غفل عن أن وراء ذلك سُما ناقعا.(1)

نريد أن نقول ردا على المستشرق و من سار في ركابه: إن بان عباس و غيره من الصحابة كانوا يسألون علماء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام، و كانت أسئلتهم فيما لا يمس العقيدة، أو يتصل بأصول الدين و فروعه. إن أسئلتهم كانت عن بعض القصص و الأخبار الماضية، و لم يكن ابن عباس و غيره يقبلون كل ما يُروى على انه حق لا يأتيه الباطل، بل كانوا يُحكِّمون عقولهم و دينهم، فما اتفق و الدين و العقل صدّقوه، و ما خالفهما نبذوه، و ما سكت عنه القرآن توقفوا فيه.

إن ابن عباس تلميذ محمد صلى الله عليه و سلم، أطاع الله حين أطاع محمدا، و هو مطيع لله في حياة محمد صلى الله عليه و سلم و في مماته، ليس له أن يخالفه في أمره و نهيه لأنه لا يستطيع أن يخالف الله، و جل ما روي عنه- وهو كثير لا يحصى- مكذوب.

لقد ملأ المفسرون كتبهم بأقوال ابن عباس، و كأنه لم يترك صغيرة أو كبيرة إلا فسَّرها، أو كان له رأي فيها. و وضعوا لأقواله أسانيد، معظمها عند التحقيق ضعيف لا يُعتمد عليه. حتى لقد قال الغمام الشافعي: لم يثبت ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث. (2)

---

[1]- انظر فجر الإسلام، ص 248، و مذاهب التفسير الإسلامي، ص 73-120

[2]-الاتقان ، 189/2.

كتب تفسير بالمأثور:

منذ القرن الثاني للهجرة، قام العلماء بمحاولات لتفسير القرآن بالمأثور، بيد أن محاولاتهم بقيت مخطوطة، أو ضائعة، أو ناقصة. لم يصل إلينا إلا عدد ضئيل جذا منها، و أشهر ما بقي:

1. جامع البيان في تفسير القرآن : لابن جرير الطبري.
2. بـــــحر العلوم : لأبي الليث السمرقندي.
3. الكشف و البيان عن تفسير القرآن : لأبي إسحاق الثعلبي.
4. معالم التنزيـــــل : لأبي محمد الحسين البغوي.
5. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : لأبي عطية الاندلسي.
6. تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء الحافظ ابن كثير.
7. الجواهر الحسان في تفسير القرآن : لعبد الرحمان الثعالبي.
8. الدر المنثور في التفسير بالمأثور : لجلال الدين السيوطي.
9. الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن و السنة : للشيخ محمد الصادقي.

تلك أهم كتب التفسير بالمأثور، و سنحاول أن نكتب كلمة موجزة عن كتابين يُعدان من أشهر مكتب هذا اللون، و هما تفسير الطبـــــري ، و تفسير ابن كثير.

أما "جامع البيان في تفسير القرآن" فمؤلفه محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة 310هـــ/ 923م .

الطبري إمام جليل، و مجتهد مطلق، و مؤلف متبحر، و محـــــدث مشهود له، لـــه من المؤلفات العشرات، لكنه لم يصل إلينا إلا تفسيره و تاريخه المسمى: تاريخ الأمم و الملوك. يقول عنه العلماء : إنه أبو التفسير و أبو التاريخ، و يذهبون 'إلى مدى بعيد في الإشادة به، شرقيين كان العلماء أو غربيين.

ويعتبر تفسيره من أقوم التفاسير و أشرها، و هو المرجع الأول للتفسير النقلي و فيه قدر طيب من التفسير الفعلي.

يقع في ثلاثين جزءا، و قد طبع حديثا في مصر طبعة أنيقة.

أما طريقة ابن جرير في تفسيره فتقوم على الشكل التالي: يأتي بالآية الكريمة، و يقول : " القول في تأويل قوله تعالى كذا و كذا" ثم يفسرها، و يستشهد على ما قاله بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين من التفسير المأثور عنهم في هذه الآية، فإذا كان فيها قولان أوردهما أو أورد كل ما ورد في هذا الصدد.

إن الطبري لا يقتصر على مجرد ن و غنما يتعرض لترجيح الأقوال، كما يتعرض أحيانا لناحية الإعراب، و استنباط الإحكام الشرعية من الآيـــــة.

ويُلِّح الطبري على ضرورة الرجوع إلى أقوال الصحابة و التابعين، و يحمل بشدة على أصحاب الرأي الذين يستقلون برأيهم في تفسير كلام اله. و كان -رحمه الله- يعود إلى اللغة العربية، و كلام العرب و شعرهم، فيستشهد بها على صحة ما يذهب إله أن أعوزه النقل، أو اضطر إلى إن ينفرد برأيه. و لذلك نجد شعرا كثيرا، و شواهد مختلفة جاهلية و إسلامية في تفسيره.

ويحمل بعض الدارسين على الطبري لأنه أورد نُقوله بأسانيد مختلفة، دون أن يضعف سندا أو يقويه أو يصححه. و يبدو لنا أن له عذرا في ذلك، فقد اتبع قرار علماء الحديث: "من أسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند، و معرفة مبلغهم من العدالة او الجرح" إنه بهذا القرار خرج من حد المسؤولية، و حمل حارس كتابه مهمة البحث .

ومع هذا ، فإن الطبري كان – أحيانا- يعدل بعض الرجال، و يُجرح بعضهم الآخر، و يرد رواية من لا يثق به.

كذلك يتهمون الطبري بأنه توسع في رواية الإسرائيليات ، و أورد شيئا من الأساطير النصرانية بأسانيد ضعيفة، أو غير موثوقة إلا أنه كان-أحيانا- يعلق على ضعفها، أو يكتفي بإلقاء التبعة على قارئته إذ يقدمها مسندة، و يترك له الحكم عليها. و طبيعي أن هذا الإيراد راجع إلى ما تأثر به من الروايات التاريخية التي عالجها في بحوثه التاريخية المسهبة.

وأما تفسير القرآن العظيم فللغمام الحافظ، عماد الدين، أبي الفداء إسماعيل ابن عمرو بن كثير البصري ثم الدمشقي سنة 774هـ/ 1373 م.

سمع ابن كثير من علماء فطاحل كابن الشحنة،و الآمدي ،و ابن عساكر ، و ابن تيمية، و كان كما شهد الدارسون و من يوثق بقولهم بأنه: قدوة العلماء و الحفاظ، و عمدة أهل المعاني و الألفاظ.

يعد تفسيره من أشهر كتب التفسير بالمأثور بعد الطبري. اعتنى فيه بالرواية عن مفسري السلف، ففسر كلام الله بكلامه العظيم، و بالأحاديث و الآثار مسندة إلى أصحابها ، مع الأحكام على الأسانيد من جرح أو تعديل.

ومما يمتاز به تفسير ابن كثير أن ينبه إلى ما في التفسير بالمأثور من منكرات الإسرائيليات، و يحذر منها على وجه الإجمال تارة، و على وجه التعيين و البيان لبعض منكراتها تارة أخرى (1).

ويدخل ابن كثير في المناقشات الفقهية، و في خلافات الفقهاء،و يخوض في أدلتهم و مذاهبهم كلما تكلم عن آية فيها حكم فقهي، و لكنه رغم هذا يبقى مقلا إذا قيس بغيره من المفسرين الفقهاء.

عن تفسير ابن كثير من خير الكتب التفسير بالمأثور. و لقد قال السيوطي: انه لم يؤلف على نمطه مثله.

- **التفسير بالرأي:**

ويسميه بعضهم : التفسير بالدراية.

إن المراد بالرأي هنا: الاجتهاد. و التفسير بالرأي هو تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر كلام العرب، وأساليبهم في القول، و بعد وقوفه على أسباب النزول ، و الناسخ و المنسوخ، و المحكم المتشابه،و العلوم الأخرى التي أسلفنا القول فيها في مقدمة هذا الباب.

ولئن غلب على التفسير في القرنين الأول و الثاني للهجرة التفسير بالمأثور، فغن التفسير بالرأي قد وجد طريقه رويدا رويدا على ألسنه بعض الصحابة و التابعين و من تلاهم.

وما إن امتدت الرقعة الإسلامية بعيدا عن حدود الجزيرة العربية،و شمل الإسلام شعوبا و أمما و ثقافات وفكرا وديانات متعددة،و اختلط العرب بالأمم الأخرى،و امتزجت عقليتهم بعقلية تلك

[1]- انظر التفسير و المفسرون ، 244/1.

الأمم و ترجمت الثقافات المختلفة إلى العربية حتى ظهرت التأثيرات المتبادلة،و نشأت العلوم الجدية،و ظهرت الفرق الفكرية و الدينية ، فتأثر من جملة ما تأثر بفعل هذه التيارات اتجاه التفسير.

من ذلك مثلا أنه وجد في العصر الأموي متكلمون في القدر، فكانوا إذا أرادوا أن يحتجوا على صحة ما يذهبون إليه أولوا آيات القرآن حسب عقيدتهم، فمن قال بالاجبر أولا كل آيات الاختيار،و من قال بالاختيار أول كل آيات الجبر و سال بعد ذلك السيل في العصر العباسي، فصارت كل طائفة و أصحاب كل مذهب ينظرون إليه من خلال مذاهبهم، و الفلسفات التي درسوها،و لا سيما الفلسفة اليونانية.

وإذا استعرضت أسماء الفرق و المذاهب في كتاب "الملل والنحل" للشهرستاني فلسوف تدهش لكثرتها و تشعبها واختلافاتها، وهذه كلها تنظر إلى القرآن بعين مذهبها، وتفسره بما بلاءهما فالمعتزل يطبق القرآن على مذهبه في الاختيار والصفات والتحسين والتقبيح العقليين، ويؤول ما لا يتفق ومذهبه، وكذلك يفعل الخارجي، وكذلك يختلف كل الاختلاف عن نظر المسلمين الأوليين إلى القرآن.

كان القرآن يدعوا إلى الإيمان من طريقة: طريق النظر إلى العالم نفسه و طريق التاريخ. فهو يرى أن نظر الإنسان إلى العالم يدعم إيمانه ويقوي يقينه، ففي الرياح و السحب المسخرة بين السماء والأرض، والإبل التي خلقت،و السماء التي رفعت، والأرض التي بسطت آيات على الله، كما أن في الإحداث التاريخية من الأنبياء و امهعم ما يدعو إلى الإيمان، وهذا النظر يناسب الناس على اختلافهم. ففي استطاعة العالم و الجاهل أن ينال الإيمان من هذا الطريق،و الدعوة إلى الحياة الروحية وحدها هي الدعوة التي يمكن أن توجه إلى الناس كافة. فلما أولع العلماء بالفلسفة اليونانية في العصر العباسي حولوا اتجاه القرآن نفسه إلى نوع من الثقافة العقلية و البراهين المنطقية، و درسوا القرآن على النحو الذي يدرسون به الحساب و الهندسة.و كان كلما تعمق المسلمون في العلوم و الفلسفة نظروا إلى القرآن من خلالها، فإذا أتت آية في الرعد و البرق شرحوها بكل ما وصل إليهم من علمهم في الظواهر الجوية، و إذا أتت آية في النجوم و السماء طبقوا ما علموا من علم الهيئة، و إذا أتت إشارة في آية إلى جبر أو اختيار عددوا مذاهب المتكلمين فيها، و إذا اتتت مسألة نحوية أفاضوا في الخلافات النحوية بين البصريين و الكوفيين.

و وقف العلماء من جواز تفسير القرآن بالرأي موقفين متعارضين:

تشدد قوم في ذلك، فلم يجرؤوا على تفسير شيء من القرآن، كما لم يبيحوه لغيرهم. و قالوا: لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن و عن كان عالما أديبا متسعا في معرفة الأدلة، و الفقه، و النحو، و الأخبار و الآثار، و غنما له أن ينتهي إلى ما رُوي عن النبي عليه السلام و عن الذين شهدوا التتريل من الصحابة، أو عن الذين اخذوا عنهم من التابعين. (1)

وكان لهذا الفريق المتشدد حجج و أدلة. منها خشيتهم أن يقولوا على الله ما لا يعلمون، و منها حديث:" من قال في القرآن برأيه فليتبوءوا مقعده من النار" (2)، و منها موقف السلف الصالح من التشدد في البعد عن هذا الاتجاه، و أقوالهم الكثيرة في البعد عن هذا الموضوع.

ووقف فريق آخر موقفا مضادا لموقف الفريق الأول، فأجازوا لأنفسهم و لغيرهم ممن ملك قياد اللغة و الأدب، و اطلع على علوم القرآن و الشريعة أن يفسروا القرآن.

وكان لهذا الفريق أدلة و براهين على حل ذلك و جوازه. منها أن المفسر المجتهد مأجور مرتين إن أصاب، و مأجور مرة إن اخطأ، و منها أن الرسول الكريم قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: بم تحكم؟ قال: بكتاب الله. قال: فإن لم تجد؟ قال: سنة رسول الله. قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد برأيي. فضرب رسول اله صلى الله عليه و سلم في صدره و قال: الحمد لله الذي وفق رسول الله رسول الله لما يرضى رسول الله (3). و من الأدلة كذلك أن القول بالقرآن محرم إذا صدر عن هوى متبع، جهل بالحق، و حياد عن الصواب، و مخالفة للشرع، و بعد عن العلم، و فقد لأدوات التفسير...

وبعد، فالحديث الوارد في تحريم التفسير لم تثبت صحته، و قد أنكره المحدثون أو ضعفوه.

أضف إلى ذلك أنه لو كان التفسير بالرأي محرما لوجب أن يحرم الاجتهاد، و يستغنى عن العقل..و هذا محال. فباب الاجتهاد مفتوح إلى يوم القيامة، و المجتهد مثاب و عن أخطأ. و النبي الكريم ذاته لم يفسر جميع آيات القرآن،و لم يستخرج جميع أنواع الأحكام.

---

[1]- ضحى الاسلام ، 369/1.

[2]- انظر مقدمة التفسير للراغب الأصفهاني، الملحقة بآخر تتريه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار، ص 322.

[3]- انظر سنن الترميذي (في أبواب التفسير) ، 157/2.

إن منطق الحياة كان مع الفريق الثاني. و لقد فسر القرآن بالرأي، و كثرت التفاسير في ذلك حتى لا تكاد تحصى.

ولكن المفسرين كانوا- في رأي أهل السنة- على قسمين: قسم سار على المنهج الحق،

و اتبع سبيل الرشاد، و كان تفسيره جائزا. و قسم حاد عن الجادة، و ركب هواه و جعل القرآن تابعا لميوله و أهوائه، و كان الواجب عليه أن يجعل ميوله و أهواءه تابعة للقرآن،و كان تفسيره غير جائـــــز.

و ها نحـــــن أولاء نعرض لأهم كتب الفريقيـــــن:

أ - فكتب التفسير بالرأي الجائز متعددة،و كثيرة جدا. و أهمها:

1. مفاتيح الغيب(أو التفسير الكبير) : للفخر الرازي.
2. أنوار التنزيل و أسرار التأويل : للبيضاوي.
3. مدارك التنزيل و حقائق التأويل : للنســـــفي
4. لباب التأويل في معاني التنزيل : للخـــــازن.
5. البحـــــر المحيط : لأبي حيان .
6. غرائب القرآن و رغائب الفرقان : للنيسابوري
7. تفسير الجلالين : للجلال المحلي و الجلال اللسيوطي.
8. السراج المنير في الإعانة على معرفة

بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير : للخطيب الشربيني.

9. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب القديم: لأبي السعود
10. روح المعاني في تفسير القرآن

العظيم و السبع المثاني : للالوسي

11. أيسر التفاسير : للدكتور أسعد حومد.
12. صفوة التفاسير : لمحمد علي الصابوني .

أما "مفاتيح الغيب" فمؤلفه أبو عبد الله، محمد بن عمر الرازي، الملقب بفخر الدين المتوفى سنة 606هـ/1207 م.

لقد ألف الرازي مجموعة كبيرة من الكتب: في التفسير، و علم الكلام،و أصول الفقه،و الحكمة، والطلسمات، والنحو، والفقه و غيرها.

كان الرازي فريد عصره،و مكلم زمانه،و الغمامك في التفسير، و علم الكلام ، وعلوم العقل،واللغة . وكانت شهرته تجاوز حد الوصف.

يقع تفسيره في ثماني مجلدات كبيره،و هو موضوع مطبوع و متداول. و الغريب أن المؤرخين و العلماء (1) أجمعوا على أن الرازي بدأ في تأليف تفسيره و لم يتمه لأنه مات مسموما على يد الفرقة الكرامية، و مع هذا فقد وصلنا تاما كاملا. و ينسبون إتمامه إلى عدد من الرجال يسمونهم واحدا واحدا ،و يختلفون فيهم، ولكن المهم انه سواء أتمه فلان أم فلان ممن يذكرون، فإن المنهج الرازي ، وأسلوبه، وروحه ظلت في الجزء المتمم حتى لتخفى عن المدقق العام.

ميزة هذا التفسير انه يربط الآيات بعضها ببعض، و يبين المناسبة بينها،و هذا أمر غفل عنه كثير من المفسرين،و هو بهذا الصنيع جعل القرآن، أو السورة الواحدة كلا متصلا مترابطا منسجما، لا تمزيق بينه و لا انفصال.

كذلك اهتم الرازي بالاستطراد إلى علوم الرياضيات و الطبيعيات و الفلك و ما إليها في خلال تفسيره، و أورد كلام الفلاسفة و ناقشه،و رد عليه مستخدما منطق أهل السنة و حججهم.

وحمل الرازي على المعتزلة وشنع عليهم، إلا أن آهل السنة–و هو منهم — يرون ردوده في هذا المجال ضعيفة، خائرة القوى، لا تنهض أمام حجة الخصوم، و لا تصفعها الصفع الذي يحبون.

و يرون سبيلك أن الرازي كان يعرض للخلاف فيورد حجج الخصوم،و يوضحها أجلى توضيح حتى لو أراد صاحبها أن يزيد عليها عجز و خارت قواه، فإذا ما وصل إلى الرد بدا عليه الوهن، لأن قراه التعبيرية كان قد استنفدها في خدمة توضيح آراء خصومه.

[1]–انظر وفيات الأعيان ، 265/2، و شذرات الذهب، 21/5، و الدرر الكامنة، 299/2.

كذلك فغن الرازي كان يتعرض في تفسيره للمذاهب الفقهية، و لا سيما عند تفسير آيات الأحكام، و يفصل القول خاصة في المذهب الشافعي الذي يعتنقه. وكانت عنايته في المسائل الأصولية،و النحوية ،و البلاغية لا تقل عن عنايته بالفقه،و العلوم الأخرى .

من اجل هذا حاجي خليفة عنه في كشف الظنون حين وصف تفسيره (1): عن الإمام فخر الدين الرازي ملأ تفسيره بأقوال الحكماء و الفلاسفة،و خرج من شيء إلى شيء حتى يقضي الناظر العجب، و نقل قول بعض العلماء: فيه كل شيء إلا التفسير.

و لا نشك أن الرازي مظلوم بالتهمة الأخيرة. فنحن نقول: فيه كل شيء مع التفسير.

و أما "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني " : فمؤلفه أبو الثناء، شهاب الدين، محمد الآلوسي البغدادي المتوفى سنة 1269هـ/1878 م.

هو شيخ العراق، و آية من آيات الله العظام، ونادرة من نوادر الأيام، جمع علوم المنقول و المعقول. شافعي المذهب، سلفي الاعتقاد. خلف كتبا كثيرة في شتى العلوم و الفنون.

في تفسيره مجهود كبير، و حصيلة جامعة لآراء السلف رواية و دراية، و أمانة علمية في النقل ندر مثليها. كان ينقل من كتب الآخرين فيشير إلى ما يفعل، و يذكر المصدر و المؤلف، و إذا عن له رأي مخالف أظهره و بين حدوده. و كان في كثير من الأحيان يقرن آراء الآخرين بعضها بعض، و ينصب نفسه حكما بينها، فيرجح قولا على قول، و رأيا على رأي، و يبين سبب ترجيحه،و دواعي حكمه.

ولما كان الآلوسي سلفي المذهب، سني العقيدة فقد تصدى لآراء المعتزلة و الشيعة و غيرهم من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهبه.

ليس هذا ما يفسر الآلوسي وحده، و إنما هناك أمور أخرى. منها أنه كان يستطرد إلى الأمور الكونية فيعرض لكلام أهل الهيئة،و الحكمة، فيقر من كلامهم ما يرتضيه،و يفند ما لا يرتضيه، كما يستطرد إلى المسائل النحوية والفقهية فيفصل فيها القول كما كان يفعل الرازي في مفاتيح الغيب.

[1]- كشف الظنون، 230/1.

ومما نلاحظه على الآلوسي انه شديد النقد للإسرائيليات و الأخبار المكذوبة التي حشا بها بعض المفسرين تفاسيرهم،و ظنوها صحيحة مع سخرية خفية منهم.

هناك من عد تفسيره في جمله التفسير الإشاري، ذلك أنه حين كان ينتهي من الكلام عن كل ما يتصل بالتفسير الظاهر للآيات، يغوص في معانيها الباطنة الخفية و يسهب في هذا المجال.

و جملة القول ، إن "روح المعاني" موسوعة تفسيرية قيمة، جمعت ما قاله علماء التفسير الذي تقدموا عليه، مع النقد الحر، و الترجيح الذي يعتمد على قوة الذهن و صفاء القريحة،و هو و عن كان يستطرد إلى نواح علمية مختلفة إلا انه متزن في كل ما يتكلم فيه.(1)

ب. التفسير بالرأي المذموم

يصفه أهل السنة بالمذموم لحياده عن الحق،و إتباعه الهوى. و يعنون به هنا في مجال التفسير: تفسير الفرق التي خالفت مذهبهم.

ولسنا في صدد البحث في أصل نشوء هذه الفرق، و لا في الأسباب التي أدت بهـــــا إلى الجنوح عن جادة السنة و الجماعة، فكتب التاريخ ،و العقيدة و الملل و النحل تكفلت ببيان هذا الجانب،و أشبعته بحثا و تفصيلا، وبينت الفروق الدقيقة لكل فرقة، حتى لم تبق زيادة لمستزيد.

يقول أهل السنة : إن تفسير هذه الفرق مذموم، لان التفسير كان مطية للجماعة، من خلاله عرضت لآرائها ومذاهبها ومناحي تفكيرها، وحولت كل آية لا تنسجم وما تذهب إليه تحويلا شديدا حيت تصل إلى هدافها.

إن هذه الفرق تستخدم في سبيل مآربها توجيه المفردات و التراكيب و ألوان المجاز نحو وجهتها. فإذا كان اللفظ في ظاهره يوحي بمعنى من المعاني يختلف و مذهبها بدلت معناه إلى معنى آخر،و حملته من المعاني المجازية ما لا طاقة له بحمله، لتصل إلى انسجام في اتجاهها و تفسيرها.

وقد لا يكون سياق آية متفقا اتفاق جزئيا أو كليا و ذلك المذهب، فيعمد المفسر إلى التلاعب بحروف الآية، فيغير بعضها، أو يغير إشارات ضبطها فيلقب الفتحة ضمة،و الضمة فتحة، والكسرة سكونا وما إلى ذلك ليصل إلى هدفه، و يحقق هواه.

[1]- التفسير و المفسرون ،362/1.

ومن أساليب الهوى وصف آية بأنها منسوخة مع أنها ليست كذلك،و أن تلك ناسخة،و الواقع لا يثبت هذا الإدعاء،و الزعم بأن سبب نزول هذه الآية كذا و كذا،و التاريخ و الوقائع و الروايات الثابتة تخالف هذا الزعم و ترفضه.

إن المبدأ المثالي في التفسير: أن تجعل عقيدة المفسر و آراؤه في خدمة القرآن،و تابعة له. و المبدأ هو الذي يكون فيه القرآن في خدمة عقيدة المفسر و آرائه لهذا وصفوه ب "التفسير المذموم".

و ها نحن أولاء نضرب الأمثلة عن هذا النوع:

إن للمعتزلة كتب كثيرة في التفسير، تجاوزت المائة، لمنها ضاعت جميعا،و لم يبق لدينا سوى ثلاثة تفاسير و هي:

"الكشاف" للزمخشري، و "تتريه القرآن عن المطاعن" للقاضي عبد الجبار، و أمالي الشريف المرتضى المسماة "غرر الفوائد و دور القلائد".

و نكتفي بإلقاء نظرة على "الكاشف" حيث تغني عن تحليل الكتابين الآخرين. عنوان التفسير " الكشاف عن حقائق التتزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل" .

و مؤلفه: أبو القاسم، محمود بن عمر الخوارزمي، الزمخشري ، الملقب بجار الله لأنه سافر إلى مكة، و جاور بها زمانا، توفي سنة 538هـ/ 1143م.

للزمخشري كتب عدة منها هذا التفسير، و كتب "المحاجاة" في المسائل النحوية، و "المفرد و المركب" في العربية، "الفائق" في غريب الحديث،و "أساس البلاغة" في اللغة،و "المفصل" في النحو،و "رؤوس المسائل" في الفقه، كثير غيرها.

لقد امتلك الزمخشري آلات التفسير خير امتلاك ، و فسر القرآن خير ما يكون التفسير ، لولا انه حشاه بآرائه المعتزلة.

و تكاد نقول: إن خير تفسير في العربية تحدث في بلاغة القرآن،و إعجازه ، و سر نظمه، و روعة أدائه هو تفسير الزمخشري و كم كنا نود لو برئ من الهوى، إذن لكان تفسيره الأول و الأخير في عالم التفاسير بالرأي.

و لقد حمل عليه أهل السنة لأمور ارتكبها و خالف فيها وجه الحق، من هذه الأمور:

أنه كان كثيرا ما يلوي معاني المفردات من الحقيقة إلى المجاز إذا كان المعنى الحقيق يختلف عما يدين به. ذلك أن المعتزلة –مثلا- ينكرون رؤية الله يوم القيامة بالعين الحقيقة المجردة. فإذا وجدوا في القرآن ما يدل على خلاف رأيهم كقوله تعالى:﴿ وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة ﴾(1) اولها الزمخسري ففسر النظر إلى الله بالرجاء و توقع النمعمة و الكرامة،و استدل على ذلك بان النظر إلى الشئ في العربية ليس مختصا بالرؤية المادية، و استشهد بقول الشاعر جميل بن معمر العذري:

و إذا نظرت إليك من ملك و البحر دونك زدتني نعما

و إذا كان المعتزلي يقول بوجوب الصلاح و الأصلح على الله،و رأى الآية :﴿ و كلم الله موسى تكليما ﴾ (2) و على الرغم من مجيء المصدر مؤكدا للفعل، رافعا لاحتمال المجاز ، فإن الزمخشري غير حركات الآية فنصب لفظ الجلالة على انه مفعول، و رفع موسى على انه فاعل.

لقد كان سبيل الزمخشري –عندما تصدمه آية تخالف مذهبه- حمل الآيات المتشابهة على الآيات المحكمة. و هذا مبدأ سليم في أصله إذا استعمل بحق و نزاهة و تجرد،و لقد اتبعه مفسرو السنة،و ساروا على هديه. و لكن الزمخسري استخدمه ليصل إلى تحقيق عقيدته. مثل ذلك ما ذكرنا في آية رؤية الله. فالمحكمة عنده قوله تعالى: ﴿ لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار﴾ (3)، و المتشابهة قوله تعالى: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة ﴾ (4)، لهذا وجب – في زعمه- حمل المتشابهة على المحكمة،و تفسيرها كتفسير الأولى. و الامثلة في هذا الصدد لا تحصى.

و الخلاصة ، إن الزمخشري كان يلوي معاني المفردات من الحقيقة إلى المجاز ،و يتذرع دائما بالتمثيل و التخييل فيما يستبعد ظاهره،و يحمل المتشابه على المحكم، و ينتصر لرأي المعتزلة في أصحاب الكبائر و في مسألة الحُسن و القبح العقليين و ينكر السحر، و يؤول آياته، كما ينتصر

---

[1]- القيامة ، 22و 23

[2]- النساء ، 164.

[3] - الأنعام ، 103

[4]- القيامة ، 22و 23

لمبدأ الحرية الإرادة، و خلق الأفعال، و يقول بخلق القرآن، و يستهزئ بأهل السنة، و يحمل الصفات التي وصف الله بها الكافرين على أهل السنة، و يتعصب لمذهبه تعصبا كبيرا.

إن هذا كله أدى بالعلمـــاء السنيين إلى أن يطعنوا فيه طعنا شديدا، و حمـــل قاضـــي الإسكندرية أحمد بن محمد بن منصور المنير أن يكتب حاشية على الكشاف سماها "الانتصاف" ناقش فيها الزمخشري في أكثر ما جاء به، و رد عليه الطعنـــة بطعنات. و قـــد طبع "الكشاف" و"الانتصاف " معا.

كذلك ، فإن للخوارج تفسيرا بالرأي غير جائز، و لسنا نريد تفصيل مذهبهم ، و لا أسباب نشأتهم،و لا ألوان فرقهم،و لا دقائق الفروق بينهم ، فكتب الملل و النحل ، و التاريخ ، و الأدب قد امتلأت بذلك.

و حسبنا الآن أن نقول: إن الخوارج فسروا القرآن على حسب نظرتهم التي يفكرون بها عليا و عثمان و الحكمين، و أصحاب الجَمَل، و يدعون إلى الخروج على السلـــطان الجائـــــر، و ينسبون مرتكب الكبيرة إلى الكفر،و يرون الخلافة شورى بين المسلمين جميعا.

و الخوارج قوم بُداة جفاة، لم يدركوا الحضارة،و لم يعيشوا في باطن الأحداث و لم يتعلموا في كتاب، و لم يعتمدوا إلا على القرآن و السيف . أما ما عدا ذلك فهم خواء.

لهذا فتفسيرهم للقرآن تفسير ساذج، يعتمد على فهم المعاني الظاهرة،و يرفض كل ما وراء ذلك.

فإذا قرأ الخارجي قوله تعالى: ﴿ و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا و من كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ (1) فهم أن ترك الحج كُفر.

و إذا قرأ قوله تعالى: ﴿ و قرن في بيوتكم و لا تبرجن ﴾ (2) فهم أن عائشة وجب عليها الخروج لأنها خرجت من بيتها.

[1]- آل عمران ، 97.

[2]- الأحزاب، 33.

و إذ قرأ :﴿ و السارق و السارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ (1) فهم أن القطع واجـــب و لو كانت السرقة درهما...

إن الخوارج لا يلتفتون إلى الحديث، و إلى علوم القرآن المختلفة و يكتفون بالتفســـــير الظاهري الساذج، لذلك فتفسيرهم برأيهم غير مقبول.

هذا و غن في المكتبة العربية بغض تفاسيرهم، أهمها:

1 - تفسير هود بن محكم الهواري.
2 - داعي العمل ليوم الأمل لمحمد بن يوسف اطفيش.
3 - هيمان الزاد إلى دار المعاد لاطفيش.
4 - تسيير التفسير لاطفيش أيضا.(2)

* * *

3.3- التفسير الصوفي

ويسميه بعضهم بالتفسير الرمز

أصحاب هذا اللون من التفسير في المقام الأول هم الصوفية والصوفية- في حقيقتها-: جماعة صفت نفوسها من حب الحياة الدنيا، و اتصلت بحب الله،و الاتصال به، و عبادته العبادة الحقّة التي لا تجوز لسواه، و كلمة "الصوفية " مختلف في أصل نسبتها، فمن الدارسين من قال: إنها نسبة إلى "الصوف" و المتصوفة يلبسون الصوف شعارا على أجسادهم لتتجافى جنوبهم عن المضاجع، قلا يرتاحون، فينهضون للعبادة، و الاتصال بالله. و منهم من نسبها إلى "الصفاء" حيث أن الصوفي من صفت نفسه من حب متع الحياة المادية،وأبت جوارحه في الجمال المطلق الذي يتجلى في الله و بديع صنعه، و منهم من نسبها إلى "الصفة" و هي: مكان مظلل في المسجد النبوي كان يأوي إليه فقراء المهاجرين و يرعاهم الرسول صلى الله عليه و سلم ، و كانوا يعرفون باسم "أهل الصفة" و مهمتهم أن يتلقوا العلم من الرسول الكريم ثم ينشرونه و يذيعونه بين الناس، و قد كان أبو هريرة

---

[1]- المائدة ، 38.

[2]- انظر التفسير و المفسرون، 318/2.

رضي الله عنه واحدا منهم ، و منهم من نسبهم إلى "سوفي" اليونانية، أو إلى "الصَّف" أو إلى "الصَّفَة" أو غير ذلك . و تبقى النسبة غير واردة في اللغة ما عدا كلمة "الصوف" .

كذلك يختلف العلماء في أصل نشأة هذه الجماعة،و في المؤثرات فيها، ففريق يدعي أنهم متأثرون بالفلسفة الهندية، و فكرة "النيرفانا" (1)الدينية، و فريق يزعم أنهم متأثرون بفكرة أفلاطون اليوناني عن "المُثُل"، و فريق يرى أن للديانة المسيحية ، و فكرتها في "قبة الوجود" أثرا في نشأة الصوفية،و اتجاهاتها.

و لا يهمنا في هذا المجال أن نستعرض هذه الآراء ، لا أن نؤكدها أو ننكرها فذلك مجاله في بحث آخر ، لا علاقة له ببحثنا عن التفسير الصوفي.

إنما يهمنا أن نقول: إن الصوفية –في حقيقتها- حب مطلق لا يتناهى في ذات الله، و يصل الحب عند بعضهم إلى درجة يغيب فيها عن ذاته، و يتصل بمحبوبه، و يتذوق طعم الجمال الحقيق. مثل هذا الاتجاه شرعي محض، لا يختلف فيه اثنان.

أما الذي أنكره العلماء و حملوا عليه فهو ما يصدر عن فريق من الناس من شحطات غريبة، تنبئ عن شذوذ شرعي واضح، و جنوح عن الجادة المسلمة المستقيمة. و نحن لا نسمي هذا الفريق صوفيا بالمعنى الحقيق للصوفية –كما بينا في مطلع هذا البحث- و لكنا نرى، أو انه يخيل إلينا، أن هذا الفريق الذي يقذف بألفاظ ترفضها الشريعة دخيل على الصوفية الحقة، و هو الذي نرفضه ،و نرفض ما جاء به من قول أو تفسير كما رفضه العلماء ،و أنكروه.

لقد وقف علماء المسلمين و الصوفيون أمام فكرتين: الحلول،و الإتحاد، و رأوا فيهما شركا صريحا.

فالحلول: في حقيقته تجسيد، بمعنى أن الله يحل و يتجسد في كل شيء.

و الإتحاد : تلاشي الصوفي عن وجوده الحسي، ليصل بعده إلى الاتحاد بالذات الإلهية ، أو ما يسمى بوحدة الوجود. و ذلك كله شرك بالله.

1- النيرفانا: تعني امتزاج روح الانسان بروح الله- عند الهنود- و يقول بهذا المعنى من يقول بوحدة الوجود.

قلنا: لقد وصف علماء أهل السنة و الصوفيون الحقيقيون أمام هاتين الفكرتين، و حاربوهما أشد محاربة،و نفوا عن رجالهم كالحلاج، و ابن عربي،و ابن الفارض،و غيرهم أن يكونوا قد قصدوهما كليهما ، أو إحداهما.

هذا الفريق الجانح فسر القرآن حسب ما يحلو له من اعتقاد، فلم يعتمد في تفسيره على الشريعة الغراء، و غنما اعتمد على "الفيوضات" أو "الإلهامات" التي يُلهم بها، و راح يفسر المعاني تفسيرا بعيدا عن تحملات الألفاظ،و مدلولاتها.

قال هذا الفريق: عن القرآن و الشريعة لا يدلان على المقصود من الألفاظ حسب ظاهرها، و غنما تحتجب وراء هذه الدلالة أفكار أعمق، لا يدركها إلا الذين يسمون بأرواحم المجردة عن عالم الألفاظ، و يعيشون في المعاني الباطنية التي وراءها.

و حين اعتقدوا بالإتحاد، كما اعتقد الهنود بفكرة النيرفانا، فسروا قوله تعالى: ﴿ إنا لله و إنا إليه راجعون ﴾ (1) و ﴿ إليـــــه ترجعون﴾ (2) و ﴿ و إلى الله المصير ﴾ (3) و ﴿ إليه تقبلون ﴾ (4) و ﴿ إلى ربك المنتهى ﴾ (5) ، معتقدين أنهم سيصلون إلى اتحاد حقيق في الذات العلية . كذلك حللوا ترك الصلاة و الصوم و الحج و الزكاة ،و شعائر الدين المختلفة لمن وصل إلى اليقين المطلق، و المعرفة الحقيقية لله، مستدلين بقوله تعالى: ﴿ و اعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ (6) ، ففسروا "اليقين" بشيء ،و فسره علماء اللغة و الشريعة بتفسير مغاير.

و قالوا : ما نزل من القرآن آية، إلا و لها ظهر و بطن، و لكل حرف حد، لكل حد مطلع، و اعتمدوا هذا القول، و راحوا يفتشون عن البواطن،و يدعون الظواهر لغيرهم، و لهذا قال الزركشي: كلام الصوفية في القرآن ليس بتفسير، إنما هو معان يجدونها عند التلاوة. و قال ابن

---

[1]-البقرة : 156.

[2]- العنكبوت: 17.

[3]- آل عمران : 28.

[4]- العنكبوت: 21

[5]النجـــــــم: 42.

[6]- الحجر : 99.

الصلاح: من اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر، و قال النسفي: النصوص على ظواهرها،و العدول عنها إلى معان يدعيها آهل الباطن إلحاد.

و من تفاسير هذه الجماعة :

1 - تفسير القرآن العظيم : للتستري.
2 - حقائق التفسير : للسُّلَمي (وهو غير السُّلَمي الكوفي الإثنا عشر).
3 - عرائس البيان في حقائق القرآن: للشيرازي.
4 - التأويلات النجمية : لنجم الدين داية و علاء الدين السمناني.
5 - التفسير المنسوب لابن عربي : (و حقيقته للقاشاني).
6 - تفسير القرآن المرتب : للدكتور أسعد عـــــلي.

* * *

إن علماء الشرع يقبلون التفسير الصوفي، و الإشاري ، أو الرمزي إذا توافرت فيه شروط أربعة:

- ✓ ألا يكون التفسير منافيا لظاهر النظم القرآني.
- ✓ أن يكون له شاه شرعي يؤيده.
- ✓ ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي.
- ✓ ألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر.

4.3- التفسير الفلسفـــــي:

ما إن أهل القرن الثاني للهجرة حتى نشطت الحركة العلمية في البلاد الإسلامية،و ترجمت ثقافات الأمم الأخرى إلى العربية و من بينها الكتب الفلسفية.

وكان المترجمون —في الغالب- من الفرس و الهنود و الصائبة و النصارى. و اطلع المسلمون على هذه الترجمات، وانقسموا في أمرها على قسمين :

- فريق أنكر ما فيها، لأنها تتعارض و الدين،و لا تتفق و روح الإسلام، فقضى شطرا من حياته ينقض ما جاء فيها، و ينفر الناس منها،و من هذا الفريق الإمام الغزالي ،و فخر الدين الرازي.

- و فريق آخر أُعجب بها إلى حد كبير ، و على الرغم مما فيها من معارضة للدين و تناقض، و ظن انه يستطيع أن يوفق بين الحكمة و العقيدة، أو بين الفلسفة و الدين، فحاول جاهدا أن يوجد الحلول و وسائل الاتصال بين الطرفين. و من رجال هذا الفريق ابن سينا،و الفارابي،و و إخوان الصفاء.

و لقد كان لكل من الفريقين كتب،و مؤلفات،و الذي يعنينا في هذا الصدد وجهة الفريق الثاني،و الصورة التي فسر بها القرآن في ضوء فلسفته و اتجاهه.

كتب الفارابي "فصوص الحكم" و فيه تعرض لتفسير عـــدد من الآيات لا للقـــرآن كله.

و حاول من جملة ما حاول أن ينقل الفكر الأفلاطوني المبني على القول بقدم العالم إلى القرآن، و احتج بقوله تعالى: ﴿ هو الأول و الآخر﴾ (1) فقال: "إنه الأول ومن جهة أنه منه،و يصدر عنه كل موجود لغيره،و هو أول من جهة انه أول بالوجود لغاية قربه منه، و وُجد إذ وُجد معه لا فيه. هو أول لأنه اعتبر كل شيء كان فيه أولا أثره،و ثانيا قبوله لا بالزمان. هو آخر ، لأن الأشياء إذا لوحظت و نسبت إلى أسبابها و مباديها وقف عنده المنسوب، فهو خر لأنه الغاية الحقيقة في كل طلب. فالغاية مثل إسعاده في قوله: لم شربت الماء؟ فتقول: لتغيير المزاج. فيقال: و لم أردت أن تغير المزاج؟ فتقول: للصحة . فيقال: لم طلبت الصحة ؟ فتقول : للسعادة و الخير. ثم لا يورد عليه سؤال يجب أن يجاب عنه، لان السعادة و الخير يطلب لذاته لا لغيه...فهو المعشوق الأول: فلذلك هو آخر كل غاية، أول في الفكرة آخر في الحصول، هو آخر من جهة أن كان زمان يتأخر عنه،و لا يوجد زمان متأخر عن الحق....(2)

إنا لننكر أن يكون هذا الكلام تفسيرا لكتاب الله الذي نزل بلسان عربي مبين و لسان الذين يلحدون إليه أعجمي.

و لا يختلف أسلوب رسائل إخوان الصفاء و ابن سينا عن أسلوب الفارابي و كلاهما تكلم في القرآن كلاما ظاهره العربية و باطنه العجمة و الظلام.

---

[1]- الحديد: 3.

[2]- فصوص الحكم ، ص 174.

و أظن أنا نستطيع أن نعد هذا اللون من التفسير الفلسفي الذي هو أقرب إلى الألغاز منه إلى الكلام العربي الواضح لونا من ألوان التفسير بالرأي المذموم، لأنه أبعدنا عن فهم كلام الله و تدبر آياته.

* * *

5.3- التفسير الفقهـــــي

نزل القرآن العظيم كتاب هداية للبشر عامة، و كتاب تشريع و حياة. ففيه أحكام فقهية تتصل بمصالح العباد في دنياهم و أخراهم. و كان المسلمون الأوائل يفهمون ما تحمله الآيات من أحكام فقهية بسيطة و يسر، فإذا ما أشكل عليهم أمر سألوا الرسول الكريم أو الصحابة.

و لما امتد الزمن بالمسلمين،و انبسطت بهم الأرض،وجدوا مشكلات جديدة، فهرعوا إلى القرآن يستنجدون به، و إلى الحديث يسألونه، فإن لم يجدوا لها حلا اجتهدوا و اجمـــعوا أمرهم و إن تعذر عليهم ذلك لجأوا إلى قياس مسألة على مسألة ،و حكم على حكم.

و طبيعي أ يحدث خلاف في اجتهادهم، أو في قياسهم، و لهذا وجدت المذاهب الفقهية في شتى الأمصار،و كان لكل مذهب رجال و أعلام و أنصار.

و بقي القرآن رأس المصادر التي يلجئون إليها، ثم الحديث. و الذي جد في الموضوع أن الخلف الذين بعدت الشقة بينهم و بين السلف سرت فيهم روح التقليد و مع التقليد جاء التعصب للمذهب.

و كان من حصيلة هذا التعصب أن ذهبوا يلتمسون في القرآن الدلائل المختلفة لتأييد آرائهم.

و قد يفسر المفسر الآية حسب هواه انتصارا لمذهبه و رأيه،و كسرا لشوكة خصمه، و حتى لقد بلغ الأمر بعبد الله الكرخي المتوفى سنه 340هـــ/ 951 م و هو احد المتعصبين لمذهب أبي حنيفة، أن يقول: كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ.

و لكن هذا اللغو عند فريق قابله تسامح عند فريق آخر، وقف موقف الإنصاف من الأئمة، فنظر في أقوالهم نظرة العالم الرصين الذي يرى الحق فيتبعه حيثما كان.

و لو جئنا نستعرض ما في المكتبة العربية من تفاسير قامت على أساس فقهي ألفينا لأهل السنة، و للظاهرية،و للخوارج،و للشيعة تفاسير كثيرة.

فمن تفسير المذهب الحنفي" تفسير الجصاص المسمى "أحكام القرآن"، و تفسير أحمد بن أبي سعيد المدعو بمُلاَّجيون المسمى " التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية ".

و من تفاسير الشافعية: تفسير أب الحسن الطبري المعروف ب:" الكيا الهراسي" المتوفى سنة 504 هـــ ،و لقد سماه "أحكام القرآن" كما نجد تفسير "القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز" لشهاب الدين، أب العباس احمد بن يوسف الحلبي،و تفسير " أحكام الكتاب المبين" لعلي الشنفكي،و كتب الإكليل في استنباط التنزيل" للسيوطي.

و من تفاسير المالكية: نجد كتاب "أحكام القرآن" لأبي بكر بن العربي،و "الجامع لأحكاما لقرآن" للقرطبي.

و من تفاسير الزيدية: نجد كتاب "فتح القدير" للشوكطاني،و كتب "الثمرات اليانعـــــة و الأحكام الواضحة القاطعة" ليوسف الثلاثي،و "منتهى المرام، شرح آيات الأحكام" لمحمد بن الحسين.

و من تفاسير الأمامية الاثني عشرة: "كتر الفرقان في فقه القرآن"، لمقداد السيوري. (1).

6.3- التفسير العلمي :

يقصد بالتفسير العلمي ، التفسير الذي يتحدث عن الاصطلاحات العلمية في القرآن،و يجتهد في استخراج مختلف العلوم و الآراء الفلسفية منها.

و يبدو أن الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" كان أول من تحدث في هذا الموضوع، و قد نقل عن بعض العلماء أن القرآن يحوي سبة و سبعين ألف علم و مائتي علم، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف ، غذ لكل كلمة ظاهر و باطن، و حد و مطلع(2). ثم يقول معقبا: و بالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله عز و جل و صفاته، و في القرآن شـــرح ذاته و أفعاله و صفاته، و هذه العلوم لا نهاية لها،و في القرآن إشارة إلى مجامعها.

---

[1]- انظر التفسير و المفسرون، 103/3،و كشف الظنون، في بحث التفسير.

[2]- الإحياء، 135/3.

و نتصفح كتاب الغزالي الثاني "جواهر القرآن" فنجده يعيد ما سبق ذكره في الإحياء.

و قد قسم علوم القرآن قسمين.

الأول: علم الصدف و القشر:،و ادخل فيه اللغة ،و النحو،و القراءات،و مخارج الحروف،و التفسير الظاهر.

و الثاني: علم اللباب،و ادخل فيه قصص الأولين،و الكلام و الفقه ،و أصول الفقه،و العلم بالله و اليوم الآخر، و علم الصراط المستقيم،و طريق السلوك.

ثم عقد فصلا لكيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن، فذكر علوم الطب،و النجوم، و هيئة العالم، و بدن الحيوان،و تشريحه،و السحر،و الطلمسات و غيرها.

ثم قال : "ثم هذه العلوم ما عددناها و ما لم نعددها، ليست أوائلها خارجة من القرآن، فإن جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى، و هو بحر الأفعال و قد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له،و أن البحر لو كان مددا لكلماته لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلماته. فمن أفعال الله و هو بحر الأفعال-مثلا- الشفاء و المرض كما قال تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿ وَ إِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينْ ﴾ (1)،و هذا الفعل لا يعرفه إلا من عرف الطب بكماله، غذ لا معنى للطب إلا معرفة المرض بكماله و علاماته،و معرفة الشفاء و أسبابه.و من أفعاله تقدير الشمس و القمر و منازلها بحسبان...."". و يظل الغزالي يعدد أنواع العلوم و يأتي بالآيالت القرآنية المشيرة إليها حتى يصل إلى قوله: "فتفكر في القرآن و التمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علوم الأولين و الآخرين" (2).

ثم جاء السيوطي و نحا نحو نحوه في كتابه "الإتقان" و كتابه "الإكليل في استنباط التنزيل".

و كان لأبي الفضل المرسي-حسب ما ذكر السيوطي- قَدَم في هذا السبيل،و هو القائل: لوضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله. و راح يعدجد العلوم التي اشتمل عليها، فلم يترك علما من علوم العربية و الهندسة و الطب و الجبر و الفيزياء و الفلك و الجدل و التنجيم و غيرها إلى و بين ان القرآن قد أشار إليه. زكانت حجته في ذلك آيات تشير إلى تلك العلوم.

---

[1]- الشعراء، 80.

[2]- جواهر القرآن ، ص 32.

و وقف علماء آخرون كالشاطبي الاندلسي موقفا معارضا لهذا اللون من تفسير الآيات(1)، و قال: إن هذه العلوم عرف العرب بعضها و جاء القرآن فذكرها لهم، لا على انها علوم مبتدعة لا سابق لها. بل على انها شواهد و دلائل على خلق الله و بديع صنعه . و أضاف قائلا: إن السلف الصالح من الصحابة و التابعين و من يليهم كانوا اعرف بالقرآن و بعلومه و أودع فيه، و لم يبلغنا انه تكلم احد منهم في شيء من هذا المدجعى سوى ما تقدم،و ما ثبت فيه من احكام التأليف،و احكام الأخرة،و ما يلي ذلك. و لو كان لهم خوض و نظر لبغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة، إلا أن ذلك لم يكن، فدل على انه غير موجود عندهم، و ذلك دليل على ان القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا.

ثم اخذ الشاطبي في ذكر ما ستند إليه أرباب التفسير العلمي من الأدلة فقال: و برما استدلوا على دعواهم بقوله تعالى: ﴿ و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾ (2) ،و قوله : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ (3) و نحو ذلك،و بفواتح السور- و هي مما لم يعهد عند العرب- و بما نقل عن الناس فيها...

و تابع الشاطبي قوله مفنـــــدا هذه الأدلـــــة:

فإما الآيات فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف و التعبد،و او المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿ ما فطرنا في الكتاب من شيء﴾ اللوح المحفوزظ، و لم يذكروا فيها ما يقتضي تصمنه لجميع العلوم النقلية و العقلية.

و أما فواتح السور: فقد تكلم الناس فيها بما يقتضي ان للعرب بها عهدا، كحساب الجمل الذي تعرفوه من اهل الكتاب، حيبما ذكره أصحاب السير، او هي من المتشابهات التي لاا يعلم تأويلها إلا الله تعالى، و غير ذلك. و أما تفسيرها بما لا عهد به فلا يكون و لم يدعه احد ممن تقدم، فلا دليل فيها على ما ادعوا...إلى ان يقول:

" فليس بجائز ان يضاف إلى القرآن ما لا يقتضبه، كما أنه لا يصح ان ينكر منه ما يقتضيه،و يجب الاقتصار في الإستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة، فيه يوصل إلى

---

[1]- انظر الموافقات ، 69/2

[2]- النحل، 89.

[3]- الأنعام 38.

علم ما ادوع من الأحكام الشرعية، فمـــن طلبع بغير ما هو اداة لـــه ضل عن فهمه، و تقول على الله و رسوله فيه،و الله اعلم ،و و به التوفيق".(1)

و مرت عصور،و جاء العصر الحديث و إذا كثير من المفسرين يترعـــون هـــذا المـــترع و بلحون على تفسير القرآن تفسيرا علميا اعتقادا منهم انهم بعلمهم يثبتون إعجازه و خلوده.

من هؤلاء المفسرين الذكتور محمد الإسكندراني الذي الف كتابا عنوانه" كشف الأسرار النورانية القرآنية، فيما يتعلق بالأجرام السماوية، و الأرضية،و الحيوانات،و النباتات،و الجواهر المعدنية".

كذلك فعل عبد الله باشا فكري في رسالة الفها، كان موضوعها: مقارنة بعض مباحث الهيئة بالوارد في النصوص الشرعية.

و للشيخ الحلبي عبد الرحمن الكواكبي كتاب "طبائع الإستبداد و مصارع الإستعباد" فيه اتجاه إلى تفسير الآيات تفسيرا علميا على نحو ما صنع الغزالي و المرسي و السيوطي.

و خاض في هذه المعمعة مصطفى صادق الرافعي في كتابه "غعجاز القرآن" و عقد فصلا عنوانه "القرآن و العلوم" و كان فيه من انصار هذا الإتجاه.

و للدكتور عبد العزيز اسماعيل مشاركة في هذا المجال و كتاب عنوانه "الإسلام و الطب الحديث"،و كان من رأيه ان القرآن ليس بكتاب طب او هندسة او فلك،و لكنه بشير احيانا إلى سنن طبيعية ترجع إلى هذه العلوم، و يقرر ان كثيرا من آيات القرآن لا يفهم معناها الحقيق إلا من درس العلوم الحديثة (2)، و يؤكد أن العلم الحديث كشف عن معنى بعض الآيات،و سيكشف الباقي منها كلما تقدمت العلوم،ثم يأتي وقت يكون فيه العلماء الماديون أقرب الناس إلى الدين .(3)

---

[1]- الموافقات، 81/2، التفسير و المفسرون، 155/3.

[2]- الإسلام و الطب الحديث، ص1-3.

[3]و يذهب هذا المذهب من المفرسرين المعاصرين الدكتور عدنان الشريف في كتبه: علم النفس القرآني، من علم الطب القرآني.

و ختاما ، فغن اعظم علماء العصر الحديث تسيعا للترعة التفسيرية العلمية هو المرحوم الشيخ طنطاوي جوهري حيث فسر القرآن في خمسة و عشرين جزءا كبيرا و سماه "الجواهـــــــــر".

* * *

7.3- التفسير الاجتماعي:

اتسعت في العصر الحديـــث المعارف التاريخـــية، و الدينـــية،و العلمـــية،و السياســـية، و الاجتماعية، و الإنسانية اتساعا كبيرا، و انطلقت إلى آفاق بعيدة المدى في كل الاتجاهات. و نشأ عن هذا الاتساع سؤال صار يتردد في كثير من المناسبات، و هو : هل الإسلام و الحضارة الحديثة ضدان لا يجتمعان، أو هما متوافقان ؟

و أجاب كثيرون عن السؤال، و كان من الأجوبة السطحي الساذج المعتمد على منطـــق الحماسة و العاطفة،و المتعمق الهادئ الذي يحلل الحضارة،و يحلل الإنسان،و يحلل الإسلام،و يقرن بينها مستعينا بالعلوم الثابتة، و العقل الرصين،و حقائق الدين الثابتة.

و كان من رجال الجواب الثاني عدد من مسلمي الهنود، و على رأسهم السيد أميـــر علي

في كتابه "روح الإسلام" الذي نشره بالإنكليزية ، ثم ترجم إلى العربية،و أبو الأعلى المودودي الذي أصدر سلسلة من الكتب حول المشكلات الاقتصادية و الاجتماعية و النفسية في ضوء الإسلام،و السيد على أحمد خان بهادر من عليكره في الهند. إلا أن كتابات بهادر ظلت في الأوردية –لغة الهند- بينما نقلت لغة المودودي و أمير علي إلى العربية.

خلاصة ما ذهبوا إليه: انه ليس من الحياة العلمية و العمليـــة المعاصرة و الإســـلام تناقض

و تضاد،و أن تعاليم الإسلام ذاتها لو فهمت الفهم الصحيح، و فسرت التفسير العلمي الحق لظهرت أنها تؤيد الحضارة و العقل و الحياة المعاصرة، بل لتشجع عليها،و تدفع إليها، و أن كل فكرة مغايرة لهذا القول يقولها إنسان عن الإسلام خاطئة دفع إليها الفهم الخاطئ لروح الإســـلام و القرآن.

و ازدهرت في أوائل هذا القرن و خلاله حركة تجديدية مماثلة في مصر في المقـــام الأول، و البلاد العربية الأخرى في المقام الثاني.

و نحب أن نشير إلى أن حركة التجديد في مصر مستقلة كل الاستقلال عن التأثر بالحركة التجديدية الهندية ،و و بما أوحت به.

كذلك استقلت المدرسة المصرية عن التيارات الفكرية الغربية و اعتمدت في المقام الأول على القرآن ذاته، و آراء السلف ، و تأملاتهم الدينية الخاصة.

و لقد ألحت هذه الحركة على إبطال المنكرات، لا لأن هذه المنكرات معادية للحـــضارة، بل لأنها تتعارض و القرآن و السنة الموثوق بهما. و احتقر التقليد الطائش المجرد عن المبدأ للتقاليد الأوروبية،و دعت إلى الاحتفاظ بالطابع المستقل الخاص للرجل الشرقي المسلم.

على هذه الأسس فسرت المدرسة المصرية القـــــرآن:

كان من أعلام هذه المدرسة الشيخ محمد عبده، و تلميذاه محـــمد رشيـــد رضا،و محمد مصطفى المراغي.

و كانت دروس محمد عبده في الأزهر تفسيرا للقرآن جديدا، لم يألفه أصحاب العقـــول المحنطة، فثاروا عليه، و كتبوا ضده،و اتهموه في دينه، و راجعوا السلطات في آمره، و عملوا المستحيل لإيذائه، و لكن تعاليمه و آراءه و تفسيره انتشرت و ذاعت، و انتصر اتجاهه،و أخفق اتجاه خصومه.

و لقد كانت مجلة "المنار" المنبر الذي كان يطل منه محمد عبده علـــى العالم الإسلامـــي، و كان رئيس تحرير المجلة محمد رشيد رضا الرجل السوري الأصل الذي هاجر إلى مصر، و أصدر فيها "المنار" و هو الـــذي كان يدعو الشـــيخ محمد عـــبده فيها باسم "مولانا الأستاذ الأكبر" ،أو "إمام المسلمين في كل بادية و مصر" ، أو "حكيم الإسلام في هذا العصر" ، أو "أستاذ الإسلام الأكبر" و يبدو أن محاضرات الشيخ محمد عبده كان يحضرها محمد رشيد رضا،/ ثم يصوغها بقالب أدبي،و يربط بعضها ببعض، و يعرضها على شيخه الأكبر، ثم ينشرها في مجلته.

شعار اتجاه المدرسة المصرية يتجلى في هذا النص: "انه ليس في ديننا شيء ينـــافي المدنيـــة الحاضرة المتفق على نفعها عند الأمم المرتقية إلا بعض مسائل الكبرى. و أنني مستعد للتوفيق بين

الإسلام الحقيق و كل ما يحتاج إليه العثمانيون لترقية دولتهم مما جرّبه الإفرنج و غير ذلك،و لكن بشرط ألا ألتزم مذهبا من المذاهب، بل القرآن و السنة الصحيحة، و ارج وان يكون ذلك مقبولا عند جميع العناصر العثمانية إلا المقلدين المتعصبين لمذاهبهم من المسلمين" (1)

لقد رفضت المدرسة المصرية الاعتماد على مذهب واحد من مذاهب أهل السنة،و أطلقت لنفسها العنان في أن تستفيد من كل المذاهب الأساسية و غير الأساسية،و بصورة أوضح اتجهت إلى القرآن ذاته،و السنة الصحيحة،و العقل العلمي. و ضربت عرض الحائط بالقول المأثور "اختلاف أمتي رحمة" (2) بل حملت عليه حملة شديدة مبينة عدم صحة روايته، و أن في القرآن آيات عدة تناقضه. منها : ﴿ و عن هذه أمتكم امة واحدة و أنا ربكم فاتقون . فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (3).

و لا تسود الوحدة و القدرة على الحياة إلا بالرجوع إلى القرآن المفهوم على وجه يطابق روحه الحقيقة،و الحديث الصحيح. و لا يمكن استعادة شباب الإسلام إلا حين تراعي عقول معتقديها مطالب عصرها، و تتفق على وضع مقاييس و قواعد مرنه غير جامدة. فليس الإسلام رفاتا محنطا لا حياة فيه،و غنما هو مؤسسة حية تاريخية فعالة لا يجوز أن تتجمد حياتها في حكمة متقادمة لبعض الثقات الغابرين منذ عهد بعيد.

العصر الحديث يتطلب نظما جديدة، فهو يتطلب التخلص من النظم و الترتيبات التي بثتها الأجيال السابقة. و ساق نحمد رشيد رضا مثالا على ذلك مثلا: موضوع المخترعات الحديثة،و إمكانية الاستفادة منها في القضايا الشرعية . ثم ضرب مثالا ب "آلة التسجيل" فالقاضي يوقع عقوبة الحبس للتحقيق على متهمين اثنين. و في الحبس يتبادل السجينان الحديث عن الجرم الذي اقترفاه، كان سبب حبسهما، كما يتحدثان عن الطريقة و الأسلوب الذي ينكران به اقتراف ذلك الجرم أمام القاضي. و يثبت القاضي آلة التسجيل في مكان مناسب، فتنقل اعترافاتهما الصادقة، و خططهما التي اتفقا عليها للإنكار أمام القاضي. أفلا يقدم ذلك أساسا جيدا لبداهة الوقائع أمام المحكمة؟ و هل يجوز الاقتصار تُجاه هذا الدليل الجديد على قواعد البينة في نظام المحاكمة القديم؟

---

[1]- المنار، 12،129.

[2]- أخرجه الألباني في السلسلة الضعيفة 58.

[3]-المؤمنون،52،53.

بل ألا تقدم هذه الوسيلة ضمانا للتثبيت في تقرير مضمون الجريمة أكثر مما اقتصر القانون عليه وحده دليلا، و هو شهادة اثنين لا ترتق عدالتهما في كل الأحوال على مستوى الشك (1) ؟

كذلك وقفت المدرسة المصرية محاربة فكرتين :

الأولى: فكرة التقليد، التي تنص على أن الأمة الإسلامية لا يجوز لها أن تتعبد و تتعامل بغير المذاهب السنية الأربعة المعروفة، و لا مانع أن يكون المسلم العادي مقلدا فيها.

الثانية: إغلاق باب الاجتهاد، حيث قرر القدماء أن أبواب الاجتهاد في الدين أُغلقت، و أنه ترك الأول للآخر شيئا.

و تندد المدرسة المصرية بالرأيين معا، و ترى أن الضرر مزدوج في التقليد الإجباري،و في رفض تجويز لاجتهاد للأجيال الحديثة ،و أن هذين المبدأين أوقعا العالم الإسلامي في الجمود،و دفعاه إلى التقهقر.

لقد فتحت المدرسة المصرية أبواب الاجتهاد على مصارعيها للمسائل التي تستدعيها الحياة المتجددة (2) و التي لا يرجع القول الأول و الأخير في حسمها و تنظيمها إلى الحروف الهجائية القديمة، بل إلى رعاية الصالح العام للعالم الإسلامي " فليست السريعة محصورة في جلود كتب الحنفية".

و حين بسط السيخ الإمام تفسيره و عرضه تلميذه في "المنار" كانا يزاوجان بين النص الديني و التمدن القائم على الخُلق الرفيع و بعث الإنسان الكامل. فلقد فسرا قوله تعالى : ﴿ و استعينوا بالصبر و الصلاة و غنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ (3) بان المراد صلاة يتطلع فيها المصلون إلى الله،و يحضرون بقلوبهم عنده،و يستغرقون بكليتهم في أسرار خشيته و عظمته و سلطانه. هذه هي الصلاة التي يقول الله فيها: ﴿و إنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ ، ﴿ و أقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء و النكر﴾ (4)، و ليس المراد هو تلك الصور المعروفة: القيام ، الركوع، و السجود،و ليس هم على الأخص تحريك الشفتين بالقراءة ، الذي يستطيع فعله

---

[1]- المنار،4،866.

[2]- نفسه،7،14،

[3]- البقرة،45.

[4]- العنكبوت،45.

كل طفل مميز إذا عود على ذلك، وكم رأينا من أناس اعتادوا فعل ذلك و لكنهم يقترفون الخطايا و المنكرات على الدوام. و أي قيمة لهذه الحركات الجسمانية اليسيرة الأداء، حتى قول فيها الله سبحانه: ﴿ و إنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ ؟ . هذه الحركات ليست إلا رموزا و أمارات إلخ...

ولا يستشعر أصحاب المدرسة خوفا على الإسلام أمام العلم الحديث فيقارنونه بالنم والتاريخي و الاجتماعي،و يخرجون بان القرآن لم يخرج عن قانون هذا النمو حين دعا إلى النظر في "سنة الأولين" ،كانوا يقارنونه بعلم الطبيعيات فيوفقون بينهما ،و مما يقولون في هذا الصدد: "عن من مزايا الإسلام التي امتاز بها على سائر الأديان، أن يحث كتابه المقدس على العناية بعلوم الكون و دراستها" . تبرز للدلالة على هذه الفكرة الآية : ﴿ إن في خلق السماوات و الأرض و إخلاف الليل و النهار و الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس و ما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها و بث فيها من كل دابة و تصريف الرياح و السحاب المسخر بين السماء و الأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ . هذه الآية تقدم فرصة خاصة لتأكيد العناية بدراسة الطبيعيات و العلوم الكونية. و قد يزعم بعض هؤلاء، الذين يعادون علم الكون باسم الدين أن النظر في ظواهر هذه الأشياء كاف للاستدلال بها، و معرفة صانعها و حكمته و رحمته. فمثلهم كمن يكتفي من الكتاب برؤية جلده الظاهر و شكله، من غير معرفة ما أودعه من العلم والحكمة. نعم إن هذا الكون هو كتاب الإبداع الإلهي المفصح عن وجود الله و كماله، و جلاله وجماله، وإلى هذا الكتاب الإشارة بقوله تعالى : ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي و لو جئنا بمثله مددا﴾ (، و بقوله : ﴿ و لو أنما في الأرض من شجرة أقلام و البحر يمده من بعده سبعة أبحار ما نفذت كلمات الله ﴾ (1). فكلمات الله هي آحاد المخلوقات و المبدعات الإلهية، فغنها تنطق بلسان أفصح من لسان المقال، لكن لا يفهمه الذين هم عن السمع معزولون و للعلم معادون.

و من غرائب ما وجدنا في تفسير الغمام نظريات حديثة عن الأمراض و علاجها، فلقد فسر قوله تعالى: ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من

[1]- لقمان،27.

المس﴾(1) لا كان فسرها القدماء بالجن و الشياطين و أنهم سبب الأمراض بل فسرها بالميكروبات المسببة للإمراض (2)، مع أن القرآن صرح بوجود الجن و الشياطين.

كذلك رأيه في مسألة تعدد الزوجات في الآية : ﴿ و إن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع فغن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعدلوا ﴾ (3). قال في ذلك: الإذن بتعدد الزوجات هنا مقيد بان يكون الزوج ذا خلق ثابت، و أن يحس أيضا في نفسه بالقدرة من الوجهة الاقتصادية على العدل بين الضرائر،و إبعاد ما ينشأ بينهن في ذلك من نتنافر و تنازع،و بما أن إباحة تعدد الزوجات مضيقة قد اشترط فيما يصعب تحققه فكأنه نهى عن كثرة الأزواج. و يذهب محمد عبده بعيدا فيصرح بقوله: " أما الأوامر على ما نرى و نسمع فلا سبيل إلى تربية الأمة مع فشو تعدد الزوجات فيها. فيجب على العلماء النظر في هذه المسألة، خصوصا الحنفية منهم، الذين يبدهم الأمر ،و على مذهبهم الحكم، فلا ينكرون أن الدين انزل لمصلحة الناس و خيرهم، و أن من أصوله منع الضرر و الضرار. فإذا ترتب على شيء مفسدة في زمن لم تكن تلحقه فيما قبله، فلا شك في وجوب تغير الحكم و تطبيقه على الحال الحاضرة، عني على قاعدة: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح" ثم يختم المفتي قوله: "و بهذا يعلم أن تعدد الزوجات محرم قطعا عند الخوف من عدم العدل".

الخلاصـــة، إن التفسير العصري لم يتعمد على ما قاله الفقهاء،و رجال المذاهب الدينية و الفكرية في الماضي، و لم يتقيدوا بحرفية أسباب النزول،و لا بالمعطيات البلاغية و النحوية و الفنية، و لا بالأحاديث الضعيفة،و غير الموثوقة، و لا بما جاء به المتصوفة و رجال الأحزاب السياسية الدينية،و لا بالقواعد الجامدة التي درج عليها كثير من العلماء و المفكرين و رجال الدين،و أنما اعتادوا على العقل أولا- كما اعتقد المعتزلة- و على النظريات التاريخية و الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الفكرية في الشرق و الغرب،و نتائج العلوم الثابتة،و مقتضيات العصر و متطلباته،و كذلك اعتمدوا على فكرة التوفيق بين جوهر الشريعة و مصلحة الإنسان العليا. و لا شك أنهم أخطئوا ر بعض الاجتهادات ،و أصابوا في بعضها الآخر.

---

[1]- المنار،8،738.

[2]- المنار،8،738.

[3]- النساء،3

* * *

8.3- التفسير الأدبي:

هنالك تفسير جديد للقرآن الكريم، يعد أحدث تفسير صدر في العالم العربي، و يدعى " في ظلال القرآن" لمؤلفه المرحوم سيد قطب. و إلى جانب هذا التفسير كتابان صغيران أولهما يدعى "التصوير الفني للقرآن" و ثانيهما "مشاهد القيامة في القرآن " للمؤلف سيد قُطب نفسه. و التفسير "الظلال" و "التصوير" و "المشاهد" تنبع من روح واحدة،و تتجه وجهة واحدة،و هي محاولة الوصول إلى فهم "الصورة الفنية" في القرآن.

و لوقرآنا مقدمة "التصوير الفني" أدركنا السبب الذي أغرى المؤلف بسلوك هذه الطريقة من التفسير. و من جملة ما قال فيها: إنه قرأ القرآن و هو طفل صغير، لا ترقى مداركه إلى آفاق معانيه، و لا يحيط فهمه بجليل أغراضه،و لكنه كان يجد في نفسه منه شيئا.

ساذجة، و لكنها كانت تشوق نفسه،و تلذ حسه، فيظل حقبة غير قصيرة يتملاها،و هو بها فرح ؟، و لها نشيط.

و ضرب سيد قطب على الصور الساذجة أمثلة عدة كانت ترتسم في خياله كلما قرأ شيئا من القرآن. و من تلك الصور: ﴿ وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ به و إن أصَابَتْهُ فِتنة على وجهه خسر الدنيا و الآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ ()، قال: "كان يشخص في مخيلتي رجل قائم على حافة مكان مرتفع: مصطبة- فقد كنت في القرية- أو قمة تل ضيقة- فقد رأيت التل المجاور للوادي- و هو قائم يصلي،و لكنه لا يملك موقفه، فهو يترجع في كل حركة، و يعم بالسقوط، و أنا بإزائه، أتتبع حركاته، في لذة و شغف عجيبين".

"تلك أيام..و لقد مضت بذكرياتها الحلوة، و بخيالاتها الساذجة. ثم تلتها أيام،و دخلت المعاهد العلمية، فقرأت تفسير القرآن في كتب التفسير،و سمعت تفسيره من الأستاذة و لكنني لم أجد فيما أقرأ أو أسمع ذلك القرآن اللذيذ الجميل، الذي كنت أجده في الطفولة و الصبا".

"و أسفاه . لقد طمست كل معالم الجمال فيه،و خلا من اللذة و التشويق. ترى هل هما قرآنان: قرآن الطفولة العذب المسير المشوق،و قرآن الشباب العسر المعقد المزق؟ أم تلك جناية الطريقة المتبعة في التفسير " ؟.

"و عدت إلى القرآن أأقرأه، في المصحف لا في كنت التفسير،و عدت أجد قرآني الجميل الحبيب،و أجد صوري المشوقة اللذيذة. إنها ليست في سذاجتها التي كانت هناك. لقد تغير فهمي لها، فعدت الأنا جد مراميها و أغراضها،و اعرف أنها مثل يضرب، لا حادث يقع. لكن سحرها ما يزال. جاذبيتها ما تزال" ().

"...لقد بدأت البحث ، مرجعي الأول فيه هو المصحف، لأجمع الصور الفنية في القرآن، و أستعرضها، و أبين طريقة التصوير فيها،و التناسق الفني في إخراجها...فبرزت لي حقيقة واحدة هي : أن الصور في القرآن ليست جزءا منه يختلف عن سائره .

إن التصوير هو قاعدة التعبير في هذا الكتاب الجميل. القاعدة الأساسية المتبعة في جميع الأغراض – فيما عدا غرض التشريع بطبيعة الحال- فليس البحث إذن عن صور تجمع و ترتب، و لكن عن قاعدة تكشف و تبرز...و عل هذا الأساس قام البحث، و كل ما فيه إنما هو عرض لهذه القعدة،و تشريح لظواهرها،و كشف عن هذه الخاصية في التعبير القرآني،و حين انتهيت من التحضير للبحث،و جدتني أشهد في نفسي مولد القرآن من جديد. لقد وجدته كما لم أعهده من قبل أبدا . لقد كان لقرآن جميلا في نفسي. نعم و لكن جماله كان أجزاء و تفاريق. أما اليوم فهو عندي جملة موحدة، تقوم عل قاعدة خاصة، قاعدة فيها من التناسق العجيب، ما لم أكن احلم به من قبل به، و ما لا أظن أحدا تصوره " .

و الحق يقال: إن التفسير الأول الذي عني بإبراز الصور الجمالية في القرآن هو " في ظلال القرآن" على الرغم من وجود كتب أخرى حاولت استنباط هذه الصور وكشفها، وإبرازها إلى الوجود كتفسير "الكشاف" للزمخشري،و "دلائل الإعجاز" لبعد القاهر الجرجاني،

و معظم كتب البلاغة، ولكن أحدا من تلك المؤلفات لم يبلغ ما بلغه سيد قطب في هذا المضمار.

وعلى المنوال ذاته حاول أمين الخولي أن يفسر القرآن،و السيدة الدكتورة عائشة عبد الرحمن المعروفة باسم "بنت الشاطئ" في "كتابها التفسير البياني للقرآن الكريم "،و الأستاذ محمد المبارك في كتابه "دراسة أدبية لنصوص من القرآن"،و الدكتور شوقي ضيف في "سورة الرحمن و سور قصار"، و الدكتور محمد علي النمر في "سورة الإسراء و الأهداف التي ترمي إليها"،

و الدكتور كامل على سلامة الدقس في "التفسير الأدبي لسورة لقمان"، والدكتور حسن با جودة في "تأملات في سورة الفاتحة"، ومحمد علي الصابوني في "صفوة التفاسير "، وعمر بهاء الدين الأميري في "أم الكتاب" ومحمد محمـــود الصواف في "نظرات في سورة الحجـــرات وأم القرآن"، و عبد الله سراج الدين في "تفسير سورة الحجرات" و "حول تفسير سورة الفاتحة" ،و الدكتور أسعد حومة في "المختار من التفسير" و لا يزال التأليف في هذا الحقل يزيد يوما حتى ليكاد يربو على ألوان التفاسير الأخرى قاطبة .

5-3

– منهج العلماء الأوائل في التفسير

فالعهد من الله لا يرحرم والله لا يخلف وعده، وتركنا العقول و الأفهام المسبقة تسوقنا نحو هذا التوجه أو ذاك.

وبين التقول على الله واستخلاص ريح طيب وفهم جديد للنص مع الخضوع لجـــلال الله والفهم عنه بعد المشرقين، فشتان بين من يعتدي على الحرمات الربانية للنص ولو بالتأويل البعيد وبين خاضع، خاشع، يلتمس التلمذة على يدي رسول من الله صحفا مطهرة، وهو يطلب مزيد فضل وإنعام من الله العلي الكبير الذي تعهد بكشف أسرار آياته المنيبين، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المفسرين عامة ترشد مناهجهم منارات مشتركة تعد ثوابت لا محيد لهم عنها، وإن تنوعت اجتهاداتهم وتفرقت سبلهم واختلفت اتجاهاتهم.

الثوائب المشركة في المنهجية :

أولا : التحليل اللفظي مع الاستشهاد بأقوال المفسرين وعلماء اللغة.

ثانيا : المعنى الإجمالي للآيات الكريمة بشكل مقتضب.

ثالثا : سبب نزول الآية إن كان لها سبب.

رابعا : وجه الارتباط بين الآيات السابقة واللاحقة.

خامسا : البحث عن وجوه القراءات المتواترة.

سادسا : البحث عن وجوه الإعراب بإيجاز.

سابعا : لطائف التفسير (وتشمل الأسرار والنكات البلاغية والدقائق العلمية).

ثامنا : الأحكام الشرعية وأدلة الفقهاء، مع الترجيح بين الأدلة.

تاسعا : ما ترشد إليه الآيات الكريمة بالاختصار.

عاشرا : خاتمة البحث وتشمل حكمة التشريع لآيات الأحكام المذكورة.

وإذا عمدت لبيان ضوابط التفسير وما سطره العلماء في سبيل البيان لمعاني القرآن، فكيف تختلف التفاسير وينهج كل مفسر سبيلا غير سبيل غيره ؟

فقد تعددت اتجاهات التفسير والمفسرون، واختلفت سبلهم، وتوزعت مذاهبهم، مما يجعلنا نتتبع أهم اتجاهات التفسير.

الاتجاهات المختلفة للمفسرين وخصائصها :

مبدأ الأوائل في التفسير :

وهنا لابد لنا من مراعاة الظرف الزمني حيث أن الأوائل طغت على عهدهم الفلسفات وعلم الكلام فكانت صبغة لاتجاهاتهم وهكذا نجدهم توزعوا حول الاتجاهات التالية :

أ - الاتجاه السلفي.

ب - الاتجاه الاعتزالي.

ت - الاتجاه الأثري.

ث - الاتجاه الإشاري.

ج - الاتجاه الشيعي.

إنه لا يمكن إدراك فرق بين توجه وآخر إلا بالدراسة المقارنة والتي تعمد إلى فصل توجهات وتطلعات أفكار المفسر ومبادئه والتي ترمي في مجملها إلى أن تكون الصبغة الغالبة على غيرها تؤثر

في تفسيره وتوجهه نحوه بتسخير مفردات التفسير وموضوعاته وأصوله لخدمة المنهج برمته، ووحدة فكره، وهذا ما يحاوله الأدب المعاصر في استخلاص شخصية المؤلف وتوجهه من خلال ما آثرته كتاباته وهو ما يسمونه بالدراسة الأسلوبية.

أ) **المنهج السلفي :**

اعتمد التفسير السلفي للقرآن بداية الأحاديث المسندة في كتب الحديث، ثم تجاوزها في المرحلة الثانية إلى آثار السلف الصالح، وحاول ابن تيمية دعم دعوى نفي التعارض في آراء السلف التفسيرية نفى السلفيون بغية تدعيم مباني التفسير السلفي وجود التعارض في آراء السلف، ولهذا قال ابن تيمية :« ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلا جدا، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة، فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم، وكلما كان العصر أشرق كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر ».

والحقيقة أن من يطالع معجم فقه السلف للكتاني ينقض دعوى ابن تيمية.

واعتمد نهج السلفية على مبدأ التفويض فلا تأويل للأسماء والصفات ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ويبقى دوما الكمال لله سبحانه، فكثيرا من كتاباتهم خرجت عن النهج.

واختصر الذهبي عبارته في سير إعلام النبلاء، فقال : « أما السلف فما خاضوا في التأويل، بل آمنوا وكفوا وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله ».

وهذا هو رأي ابن حجر العسقلاني في شرح صحيح البخاري، والترمذي وآخرين.

وكتب القرطبي في معرض تفسيره مفهوم الوزن من سورة الأعراف آية (8) نقلا عن القشيري: « وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل، وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر، وصارت هذه الظواهر نصوصا » (450).

لكن، هذه دعوى لا توافقها الشواهد التاريخية، منها ما أورده القرطبي نفسه في شـــرح معنى الوزن، حيث قال بأن مجاهدا والضحاك من التابعين كانا قد أخذا في ذلك بمعنى "العدل والقضاء"، (الجامع لأحكام القرآن سورة الأعراف الآية 8).

وقال الطبري في تفسير آية « يكشف عن ساق » (قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل : يبدو عن أمر شديد). كذلك نقل ابن الجوزي عن ابن عباس الصحابي، ومجاهد وإبراهيم النخعي وقتادة من التابعين وجمهور العلماء في معنى الآية ذاتها فقال: « أي يكشف عن شدة ».

وهذا الإمام الحافظ الذهبي رحمه الله لما ترجم لابن خزيمة في "سير أعلام النبلاء" ذكر كلامه في أن من لم يُقر بأن الله على عرشه فوق سبع سمواته فهو كافر حلال الدم وكان ماله فيئا ... علق الذهبي على هذا الغلو بقول: « وكتابه –أي ابن خزيمة- في التوحيد مجلد كبير، وقد تأول في ذلك حديث الصور فليعذر من تأول بعض الصفات، وأما السلف فما خاضوا في التأويل بل آمنوا وكفوا وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه وتوخيه لإتباع الحق أهدرناه، وبدّعناه، لقل من يسلم معنا من الأئمة، رحم الله الجميع بمنه وكرمه ». (سير أعلام النبلاء 9-237).

ب) منهج الاتجاه الاعتزالي :

نجد تفسير الزمخشري (الكشاف) يحكمه الاتجاه الاعتزالي الذي يسعى جاهدا في تسخير اللغة والمأثور والبيان لتعزيز مذهبه وإثبات مصداقيته.

ويؤكد هذا المذهب أبو حيان أثناء مقارنته بين تفسيري ابن عطية والزمخشري، وأن هذا الأخير سخر علمه ومعارفه لنصرة نزعته الاعتزالية.

يقول أبو حيان: نقلا عن ابن بشكوال : « إلا أن الزمخشري قائل بالطفرة، ورمـــى نحو غرضه سهاما، هذا مع ما في كتابه من نصرة مذهبه، وتقحُّم مرتكبه، وتجشم حمل كتاب الله عز وجل عليه، ونسبة ذلك إليه ». (البحر المحيط)

بينما يقول ابن تيمية : « وأما الزمخشري، فتفسيره محشوٌّ بالبدعة وعلى طريقة المعتزلة من إنكار الصفات والرؤية والقول بخلق القرآن ... وغير ذلك من أصول المعتزلة، ...» (مقدمة في أصول التفسير).

ج) الاتجاه الأثري :

مميزات هذا التوجه : قد استعان الناس –من وقت نزول القرآن– باللغة العربية لفهم عبارته، إلا أن ابن عباس قوى هذا الاتجاه، وقد كان الدافع لهذا حاجة الناس للتفسير في عصر ابن عباس الذي كثر فيه المسلمون الجدد، وأيضا لضعف اللغة العربية وبعد مستواها عن لغة القرآن، ويعتبر هذا –بلا شك– إضافة جديدة إلى التفسير على مقتضى المأثورات، ولقد كان هذا الاتجاه في التفسير الأثري النظري، الذي يعتمد على الرواية الأثري الذي يعتمد على الرواية، إلى التفسير الأثري النظري، الذي يعتمد على الرواية والدراية معا، وهذا الاتجاه مهد لظهور المنهج الجامع في التفسير بين الرواية والدراية، ولاسيما في القرنين الثاني والثالث الهجريين على يد جماعة من علماء التفسير. (التفسير والمفسرون، ج 1 ص 141).

وكتاب "معاني القرآن" للفراء هو أحد المحاولات المبكرة التي تمثل هذا الاتجاه وهو من أقدم التفاسير اللغوية التي نقلت إلينا (انظر النحو وكتب التفسير د. إبراهيم رفيدة ج 1 ص 186) وهو يمثل لجوانب المذهب الكوفي في النحو، وقد خاض الفراء في كتابه هذا في فنون العربية جميعا وإن غلب عنصر النحو على غيره، محتجا بأن أساس التفسير هو الاعتماد على اللغة، وهي منضبطة في تراكيبها بضابط النحو، كما أبرز فيه كل قدراته العلمية حين انبرى لتوضيح معاني القرآن، ومع أنه ملأ مصنفه هذا بالاصطلاحات و الأقيسة والتعليلات اللغوية، إلا أنه يتسم بالسهولة واليسر، الأمر الذي قرب مضامينه للقارئ (مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي، ص 86، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وطبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي ص 143).

واسم الكتاب "معاني القرآن" لم يكن أول اسم أطلق على كتاب في دراسات من هـــذا النوع، كما كان المجاز مثلا. وقد اهتم كثير من النحويين واللغويين في القرون الثلاثة الأولى للهجرة بوضع كثير من الكتب تحت اسم "معاني القرآن"، ومن هؤلاء: الكسائي، والنضر بن شميل، و قطرب، والأخفش ... وغيرهم وأينما ذكر أصحاب التفسير أصحاب المعاني فإنما يقصدون هؤلاء. (معاني القرآن للفراء بهاء الزهوري)

د) اتجاه التفسير الإشاري :

هو تفسير القرآن بغير ظاهره لإشارة تظهر لأرباب الصفاء، مع عدم إبطال الظاهر، قال الزرقاني : « التفسير الإشاري: هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضا » اهـــ (مناهل العرفان للزرقاني 2/56).

وقال الصابوني: « التفسير الإشاري: هو تأويل القرآن على خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس، ممن نوّر الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة، بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينهما وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة ». (وانظر التبيان في علوم القرآن للصابوني ص 191).

نماذج من تفسير الإشاري :

1 - قال الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين 49/1 : ولذلك قال : « لا تدخل الملائكة بيتا فيها كلب » ، والقلب بيت هو مترل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم، والصفات الرديئة مثل والغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابحة، فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب إلا بواسطة الملائكة.

2 - قوله تعالى: « لينفق ذو سعة من سعته » فالآية في نفقة الزوجة، لكن أرباب السلوك يرون فيها إشارة إلى أن الواصل يرشد إلى الله على قدر ما وهبه الله من المعرفة، والسالك يرشد أيضا لكن على قدره، قال ابن عطاء الله في الحكم: « لينفق ذو سعة من سعته » « الواصلون إليه »، « ومن قدر عليه رزقه »، « السائرون إليه» اهـــ ص 47 مع شرح ابن عجيبة.

حكم هذا المنحى لدى العلماء :

قال ابن الصلاح :

الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيئا من ذلك، أنه لم يذكره تفسيرا، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة، فإنه لو كان كذلك كانوا سلكوت به مسلك الباطنية، وإنما ذلك منهم تنظير لما ورد به القرآن، فإن التنظير يذكر بالنظير، ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك، لما فيه من الإيهام والالتباس.

بعض التفاسير لهذا الاتجاه :

أ تفسير القشيري.

ب - تفسير ابن عربي الحاتمي.

ت - تفسير الألوسي وهو تفسير قيم يتضمن بعض الإشارات.

ث - تفسير ابن عجيبة الحسني.

هـــ) الاتجاه الشيعي :

لا يمكن الكلام عن الاتجاه الشيعي دون مسحة علمية لبيئة ولادته وظروف نشأته من زاوية تاريخية وعلمية، الأحداث السياسية الكبرى، وصراعات الخلفاء والسلاطين والملوك والدول، ومن قبلها أحداث الفتنة الكبرى، وما جرى بعد ذلك، وبسبب ذلك، من تشعب الفرق والاتجاهات داخل خيمة الإسلام كل ذلك ترك بصماته الواضحة على اتجاهات التفسير والقراءة للإسلام بين المسلمين أنفسهم :

وهي أن ما جرى على الأرض منذ فجر الإسلام، لم يكن قراءة واحدة للإسلام. (مشاري الذايدي الإسلام الأوروبي والإسلام الهندي)

فأصبح لدينا إسلام شيعي وإسلام سني وإسلام معتزلي.

الإسلام الشيعي (ونقتصر على ما أثر على التفسير)

-الإسلام الباطني الإسماعيلي.

-الزيدية (الشيعية) في أصلها.

-الإسلام المعتزلي، تبنته الشيعة بمختلف توجهاته.

-إسلام الخوارج، تفرعت عنه الإباضية التي أخذت من المعتزلة كثيرا من أصولها.

والحديث عن العلاقة الشيعة بالاعتزال كالحديث عن البيضة والدجاجة ومن الأسبق؟ وككل الفرق سعت التفاسير الشيعية بكل جهدها في محاولة للبرهنة العلمية على مناصرة أهل الحسين بعد أحداث كربلاء.

نماذج من التفاسير الشيعية :

بين الاعتزال والتشيع :

شيخ المفسرين وأمين الإسلام العلامة الطبرسي، صرح هو نفسه في مقدمة كتابه "جوامع الجامع" بما يبطله، حيث يخبرنا أن كتابه الأخير قد ألفه استجابا لاقتراح ابنه (أبي نصر الحسن) من أن: « اجرد من الكتابين » ، (المجمع والكافي والشافي) كتابا ثالثا يكون مجمع بينهما ومحجر عينهما، يأخذ بأطرافهما ويتصف بأوصافهما، ويزيد بأبكار الطرايف، وبواكير اللطائف عليهما، فيتحقق ما قيل : إن الثالث خير ...

* تفسير القرآن/على بن إبراهيم القمي (ت القرن 4 هـــ) « وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون » - « وما هو إلا ذكر للعالمين ».

قوله : « وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر » (51) قال : لما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بفضل أمير المؤمنين عليه السلام قالوا هو مجنون فقال الله سبحانه « وما هو إلا ذكر للعالمين » (52) يعني : أمير المؤمنين عليه السلام.

تفسير الصافي في تفسير كلام الله الوافي/الفيض الكاشاني (ت 1090 هـــ) والعياشي عن الباقر عليه السلام ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن إن الآية يترل أولها في شيء وأوسطها في شيء وآخرها في شيء ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا من ميلاد الجاهلية.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال يعني الأئمة عليهم السلام وولايتهم من دخل فيها دخل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن/الطوسي (ت 460 هـــ) واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن في جملة أهل البيت معصوما لا يجوز عليه الغلط وإن إجماعهم لا يكون إلا صوابا بأن قالوا ليس يخلو إرادة الله لإذهاب الرجس عن أهل البيت من أن يكون هو ما أراد منهم من فعل الطاعات

واجتناب المعاصي، أو يكون عبارة عن أنه أذهب عنهم الرجس بأن فعل لهم لطفا اختاروا عنده الامتناع من القبائح.

3-6_الاتجاهات المعاصرة للتفسير :

اتسمت هذه الحقبة من الزمن بميزة المنهجية العلمية لأبحاثها وتفاسيرها، فقد تعددت التفاسير وتنوعت الاتجاهات وتشتت الأغراض، وتميزت صبغة كل تفسير عن غيره بعدة ميزات فنجد "في ظلال القرآن" "للسيد قطب" يرتب ضمت التفسير الإصلاحي كما يترتب ضمن التفسير الأدبي، ويثرى معه تفسير "المنار" في نهجه الإصلاحي، بينما يفارقه في أدبيته ويختص بالدراسة الاجتماعية.

غير أن الطابع العلمي للدراسات لم يكن يمكن كل المفسرين بتعقب خطى السابقين في تفسير القرآن الكريم كله، بل ركزت بعض الدراسات جهودها في تفسير بعضه. كأنها ترسم السبيل وتسطر المنهج.

والوصف بالعلمية ليس طابعا شاملا فقد برزت تفاسير تعتمد حساب الجمل ففي "الأزهر" لإبادتها ورفضها و لم يقبل بالقول بها، كما ظهر تفسير موضوعي مادي الطبع حسي الفكر وكان كغيره ...

ومن هذه التوجهات يمكن إدراج عناوين متقاربة هي كالتالي :

أ – الاتجاه الإصلاحي.

ب – الاتجاه الإجمالي.

ت – الاتجاه التحليلي.

ث – الاتجاه الموضوعي.

ج – الاتجاه العلمي.

ح – الاتجاه الإعجاز الرقمي.

خ – الاتجاه المقارن.

د – الاتجاه الاستشراقي.

ذ – الاتجاه البياني.

الاتجاه الإصلاحي :

يحرص هذا التوجه في تفسير القرآن الكريم على مداواة أمراض المجتمعات الإسلامية المعاصرة، موجها لها نحو التمسك بالشريعة وإقامة حكم الله فيها، مبينا محاسن الدين ومعايب الجاهلية وأخلاقها ونظمها، فهو كتاب توجه الداعية إلى واجبه في حقل الدعوة وضمن هذا التوجه نجد :

تفسير السيد قطب.

تفسير المنار لمحمد رشيد رضا.

الاتجاه الإجمالي :

يتناول الكلام عام حول مدلول الآية للاهتداء بها والسير على منهاجها، دون الغوص في المجالات التحليلية من لغة ونحو و...

التفسير الإجمالي، واستحوذ على مصطلح (التفسير الجملي) ومعنى هذا المصطلح أن المفسر يفسر الآية جملة واحدة، ولا يفكك ألفاظها ويفسرها لفظة لفظة كما يُفعل في التحليلي.

ويمثل هذا التوجه :

- ✓ تفسير السعدي.
- ✓ التفسير الميسر لأبي بكر جابر الجزائري.
- ✓ تفسير المراغي.

الاتجاه التحليلي :

ويعتمد الدراسة التحليلية لكل ما يمكن استنتاجه من التفسير.

ويعتمد أصحاب هذا التوجه :

الكلام عن السورة ومكانتها بين السور وفضلها.

يتناول المقاطع القرآنية ذات الوجهة الواحدة أو الموضوع الواحد، القراءات القرآنية، الأحاديث المتعلقة بالموضوع.

الجانب اللغوي، الجانب الأصولي، الجانب البلاغي، الجانب النحوي، الجانب الإعرابي، سبب النزول، الأحكام الفقهية، واعتماد أقوال المفسرين والأقوال الفلسفية الكلامية في العقيدة.

أهم التفاسير التحليلية :

-الفتح القدير الشوكاني.

-تفسير الآلوسي.

-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

-البحر المديد لابن عجيبة الحسيني.

الاتجاه الموضوعي :

والمراد بالموضوعي في اصطلاح أصحاب التفسير الموضوعي إما موضوع من خلال سورة، وإما موضوع من خلال القرآن، مثلا (الأخلاق من خلال سورة الحجرات)، أو (الأخلاق من خلال القرآن).

بين الاتجاه الموضوعي والموضعي :

المفسر في التفسير الموضعي التحليلي يكتفي بتحليل الآيات وجملها وتراكيبها، واستخراج دلالاتها التفصيلية الجزئية. أي أن التفسير الموضعي هو التمهيد واللبنات الأولى المتفرقة للتفسير الموضوعي المتكامل.

بينما المفسر في التفسير الموضوعي، يجمع بين هذه المدلولات التفصيلية، وينسق بينها، ويصل بين جزئياتها المفردة، وبين الكل العام الجامع لها، ويستخرج من مجموعها نظرية قرآنية واقعية متكاملة.

يجمع المفسر في التفسير الموضوعي بين الدلالات التفصيلية المتفرقة عن النبوة، أو عن السنن الربانية، أو عن الحاكمية، أو عن العبادة، ليستخرج منها نظرية قرآنية متكاملة متناسقة عن النبوة.

يعمد هذا التوجه إلى تفسير القرآن بالقرآن أي بجمع المواضيع المشتركة وتحليل دلالات المعاني والمصطلحات القرآنية.

وقد أنتج لنا هذا التوجه مدرستين :

1 - مدرسة التفسير الموضوعي والتي عمدت إلى جمع كل مواضيع القرآن بعضها إلى بعض وأعطتنا تفاسير لمواضيع متخصصة كدراسات السنن الإلهية ودراسات القصص القرآني، ودراسات آيات الأحكام.

2 - أنتج هذا التوجه مدرسة المصطلحات القرآنية والتي تزعمها الأستاذ البوشيخي بجامعة فاس.

وأهم الدراسات في هذا التوجه :

-تفسير آيات الأحكام للصابوني.

-المدرسة القرآنية لباقر الصدر.

على أن هذا المنحى أنتج ما لا يحمد عقباه أيضا: مثل صاحب كتاب "الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن"، وقد ثار على هذا الكتاب علماء الأزهر حتى صودر ومنع، فقد تسلط صاحب هذا التفسير على معجزات الأنبياء وجردها من معانيها الإعجازية، فلا عيسى عنده ينفخ في الطين فيصير طيرا بإذن الله، ولا هو يبرئ الأكمه والأبرص ولا يحي الموتى بإذن الله. ومما نقله عنه المؤلف في تفسيره لقوله تعالى« وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين » الأنبياء 79. يقول « يسبحن » يعبر عما تظهر الجبال من المعادن التي سخرها داود في صناعته الحربية.

يطلق على كل ذي جناح، وكل « والطير » يطلق كل سريع السير من الخيل والقطارات البخارية والطيارات الهوائية، وفسر قوله تعالى: « ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها » (الأنبياء: 81) يقول « تجري بأمره » الآن تجري بأمر الدول الأوربية وإشاراتها في التلغراف والتلفونات الهوائية.

الاتجاه العلمي :

وتجدر الإشارة هنا أن المؤيدين لهذا التوجه ليسوا على متن سواء :

1 - اتجاه يعكس نظرة الأسلاف المتقدمين الذين يرون أن القرآن بحر العلوم جميعها، كالشيخ طنطاوي جوهري في "تفسير الجواهر"، والدكتور محمد محمود عبد الله في كتابه « مظاهر كونية في معالم قرآنية ».

2 - ورأي يرى أن الإعجاز العلمي للقرآن هو الوجه الوحيد المتبقي اليوم والصالح لمخاطبة عقل الإنسان المعاصر، وهو رأي الأستاذ مالك بن نبي.

3 - واتجاه يرى أصحابه أن للقرآن وجوها مختلفة، من بينها الوجه العلمي، من دون أن يزعموا أن في القرآن جميع علوم الدنيا، ومن دون أن يجعلوا هذا الميدان مشاعا يلجه من شاء، وكيفما شاء، بل جعلوا لذلك منهجا في البحث، ووضعوا له قواعد وضوابط تمنعه وتقيه من الزلل والشطط، وهو الاتجاه الغالب على هذا الفريق.

ومن أهم التفاسير في هذا المنحى :

تفسير القرآن الشعراوي.

تفسير الشيخ الطنطاوي جوهر المعروف بالجواهر.

الاتجاه الرقمي :

الأزهر يرفض الشفرة الرقمية للقرآن نهائيا. (صبحي مجاهد) القاهرة – أعلن مجمع البحوث الإسلامية في جلسته الأخيرة يوم الخميس 28 يونيو 2007 رفضه المطلق لمسألة الشفرة القرآنية، وهو البرنامج الذي أعلنت عنه شركة "ألف لام ميم" الرسالة الخاتمة، حيث يعتمد على الأسلوب الرياضي في إثبات عدم القدرة على تحريف القرآن الكريم، ويثبت أي تحريف عند حدوثه.

ويأتي رفض المجمع للبرنامج بالرغم من أنه تمت إجازته من قبل لجنة شرعية مكونة من الدكتور نصر فريد واصل مفتي مصر السابق، والدكتور عبد ... النجار، والدكتور محمد الشحات الجندي الأعضاء بمجمع البحوث الإسلامية.

سبب الرفض :

وعن سبب رفض هذا البرنامج قال الدكتور عبد المعطي بيومي عضو مجمع البحوث الإسلامية: « إن برنامج الشفرة الرقمية لا يتلاءم مع القرآن الكريم، ولأن بنوده كلها تحدثت عنها

تيارات مشبوهة من قبل، كتقديس الرقم 19، كما أن حساب "الجمل" الذي يعتمد عليه البرنامج تراث مندثر في الإسلام، وليس له قيمة ».

واستطرد قائلا: « ماذا يعني حساب الجمل، والادعاء بأن هناك أسرارا في القرآن الكريم؟ مع أن الإسلام ليس دين أسرار، وليس دينا مغلقا، بل هو دين يخاطب العقل، ويخاطب القضايا العقلية ويدعو للتدبر العقلي، أما إدخال العقل في متاهات الأسرار والرموز، والمعنى يختلف من رسم إلى رسم، فهذا كلا يدخل الإسلام في مجاهل بعيدة عن طبيعته تماما، حيث إنه دين واضح ودين الفطرة، وليس دين الأسرار أو الرموز، وليس له شفرة، فالقرآن يخاطب بدون شفرات وبوضوح وببساطة وبعقل ومنطق ».

أما الدكتور عبد الرحمن العدوي عضو مجمـــع البحوث الإسلامية فقد اعتبر أن برنامـــج الشفرة الرقمية للقرآن (لا يوصل إلى فائدة)، ويقول إن كان البرنامج يريد أن يوصل إلى إعجاز فالقرآن الكريم معجز، وثبت ذلك في الأجيال كلها، وهو موضوع لا تؤمن عواقبه، لأن كثيرا من الناس يقولون إن موضوع الشفرة هذا قد ينتج نتائج تحتاج إلى مراجعة وإلى كلام.

والحقيقة أن الموضوع يحتاج إلى تفصيل وبيان دقيقين حتى نعطي لكل ذي حق حقه، فهناك كلام عن الإعجاز الرقمي يمس قراءة دون أخرى / وهناك ما هو باطل مثل حساب الجمل، وهناك ما هو إعجاز رقمي ساير جميع القراءات.

التوجه الاستشراقي :

لا يهمنا من الاستشراق إلا دوافعه في دراساته وتحليلاته والتي خضعت لظروف السياق السياسي والحضاري والتي نما فيها، فضلا عما أنتجت من تأويلات :

1 - الشيء المؤكد أن الاستشراق ولد تحت تأثير سياق حضاري –ديني –سياسي في الغرب، أي تحت تأثير نمطيات القرون الوسطى عن الإسلام في العالم الغربي، وهي صور نمطية بالغة البعد عن الواقع في بعض الأحيان، ومشحونة بموقف عدائي أحيانا أخرى.

2 - على خط آخر بدأ الاستشراق نشاطه في الغالب بدافع ديني بغية التبشير بالمسيحية في آسيا والعالم الإسلامي، وهو ما تؤكده الدراسات التاريخية – الدينية أيضا.

3 - وظف الغرب المستعمر تيارا كبيرا من المستشرقين في مؤسساته خدمة لمصالحه التوسعية، وشغل عدد كبير منهم مناصب هامة على هذا الصعيد.

هذا الثلاثي المتعاضد لا يمكن تجاوزه في قراءة الاستشراق.

وقد انبثقت جهوده بمزج الدافع مع النتاج العلمي، بما تعرضه المدارس التفسيرية.

وحين عميت على المسلم الأهداف التي عمل من أجلها المستشرق ابتدأت ذهنية الباحث المسلم بحوارات دفاعية –متغافلة حقائق كشفها المستشرق–، وانتهت الأمور بنتاج إسلامي جدلي سجالي مع المستشرقين.

وكان من اللازم تلاقح الفكر بين الطائفتين أن ينفتح الفقهاء المسلمون على ما لدى الغرب من حقائق علمية اتضحت صحة عديد من مقولاتها لاحقا.

وأهم الدراسات : مذاهب التفسير الإسلامي لأجنتس جولدتسهر

التفسير المقارن :

وهو لغة مأخوذ من المقارنة وهي الموازنة: فهي المقابلة بين آراء المفسرين وأقوالهم بغية الوقوف على أوجه التماثل والتباين والاختلاف والائتلاف، ومن ذلك:

موازنة بين تفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي للأستاذ رمضان يخلف كلية أصول الدين جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، الجزائر.

وقامت محاولات دراسة جزئية لمقارنة بين تفسير البغوي، وتفسير الثعالبي، وتفسير الصنعاني.

مقارنة بين كتاب "شواهد القرآن" للعلامة أبي تراب الظاهري رحمه الله وكتاب التفسير البياني لعائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، لمحمد بن زايد المطيري.

الفصل الرابع

الإتجاه اللغوي في تفسير القرآن الكريم (عند عائشة عبد الرحمن)

4. 1 حياتها.

4. 2 إنتاجها الادبي.

4. 3 التفسير البياني.

الفصل الرابع

- الاتجاه اللغوي في تفسير القران الكريم عند عائشة عبد الرحمن

1.4 حياتها :

هي عائشة محمـــد عبد الرحمن المكنات ببنت الشاطئ، الكاتبة المصرية والباحثة والمفكرة والأستاذة الجامعية في الأدب العربي، ولدت في السادس من نوفمبر عام 1913 وذلك في مدينة دمياط بشمال دلتا مصر، و هي من بيت علم وعلماء، فقد كان والدها عالماً مـــن علمـــــاء الأزهر، وقد تربت على يديه تربية إسلامية صحيحة، فنهلت من جلسات الفقه والأدب التي كان يقيمها والدها كما حفظت القرآن الكريم في مدارس القرآن المسماة بالكتاتيب والـــتي كـــانت منتشرة في القرى آنا ذاك.

تعليمها:

لم يكـــــن تعليم الفتـــاة متاحاُ في ذلك الوقت، وقـــليلات هـــن الفتيـــات اللـــواتي استطعـــن اللحاق بركب التعليم وكانت عائشة واحدة من المحظوظات، على الرغم متن أن والدها لم يتقبل الفكرة في البداية إلا أن عائشة استطاعت الالتحاق بمدرسة اللوزي الأمـــيرية

للبنات و ذلك بمساعدة جدها لأمها الشيخ إبراهيم الدمهوجي ، ومن هنا بدأت مرحله أخرى من مراحل حياة الكاتبة عائشة بنت الشاطئ حيث أخذت بتخطي مراحل التعليم مرحله تلـــو الأخرى تنهل من عباب هذا البحر الكبير.

حتى حصلت على شهادة الكفاءة للمعلمات عام 1929 وذلك بترتيب الأولى علـــى القطـــر المصري. و من ثم حصلت على الشهادة الثانوية عام 1931م. و لـــم تتوقف مسيرتها التعليمية عند هذا الحد بل التحقت بجامعة عين شمس وتخرجت من كلية الأدب قســـم اللغـــة العربية، تلا ذلك حصولها علي شهادة الماجستير بمرتبة الشرف الأولى عام 1941 وفي خلال فترة دراستها الجامعية تزوجت عائشة من أحد فحول الفكر و الثقافة في مصر آن ذاك آلا وهو الأستاذ الجامعي أمين الخولي، وقد أنجبت منة ثلاثة أبناء ، و لم تشغلها مسؤولياتها الجديدة كزوجة و أم عن طلب العلم ، ففي عام 1950م حصلت على شهادة الدكتوراه في النصوص بتقديـــر ممتاز، وقد نوقشت الرسالة من قبل عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين.

حياتها العملية:

وعملت عائشة في عدة وظائف وتبوأت عدة مناصب مهمة، فعملت أستـــــاذة للتفسيـــــر والدراسات العليا في كلية الشريعة بجامعة القرويين في المغرب، وبعد ذلك أستاذ كرســـي اللغـــــة العربية وآدابها في جامعة عين شمس من (1962-1972) بجمهورية مصر العربيـــة،كما عملت أستاـــذة زائرة لجامعة أم درمان عام 1967 و لجامعة الخرطوم وجامعة الجزائر عـــام 196ولجامعة بيروت عام 1972 ولجامعة الإمارات عام 1981 وكلية التربية للبنات في الريـــــاض(1975-1983). ودرست ما يقارب العشرين عاماً بكلية الشريعة في جـــامعة القـــرويـــين بالمغرب في وظيفة أستاذة للتفسير والدراسات العليا. كما شغلت عائشة عضوية مجموعة من الهيأة الدولية المتخصصة ومجالس علمية كبيرة مثل المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر ، و المجالس القومية المتخصصة ، و المجلس الأعلى للثقافة، كما كانت أيضاً أحد أعضاء هيئة الترشيح لجوائز الدولة التقديرية بمصر.

2.4 إنتاجها الأدبي:

إلى جانب كل هذا كانت الدكتورة عائشة أديبة و ناقدة وهي صاحبة إنتاج أدبي غزير ومتنوع في الدراسات القرآنية مثـــل (التفسير البياني للقرآن الكريم) و(الإعجاز البياني للقرآن) و تراجم سيـــدات آل البيت النبوي ومنها بنات النبي ، نساء النبي ، أم النـــبي ، السيدة زينب ، عقلية بيتي هاشم ، السيـــدة سكينة بنـــت الحسين. كما تطرقت لدراسة الغزو الفكري مـــــن خلال (الإسرائيليات في الغزو الفكري) و هي إحدى مؤلفاتها ، كما قامت بتحقيق الكثير مـــن النصوص والوثائق و المخطوطات ، ولها أيضاً دراسات شتى في المجالات اللغوية و الأدبية مـــثل : نص رسالة الغفران للمعري، والخنساء الشاعرة العربية الأولى، ومقدمة في المنهج، وقيـــم جديدة للأدب العربي ،وقد نشر لها العديد من البحوث المنشورة ومنها المرأة المسلمة ، و رابعة العدوية، والقرآن وقضية الحرية الشخصية الإسلامية، و من الأدبيات و القصص لها ذخيرة كبيرة مثل: على الجسر، الريف المصري، سر الشاطئ، وسيرة ذاتية وقد سجـــلت فيه طرفًا مـــن سيرتها الذاتـــية فتحدثت فيه عن طفولتها على شاطئ النيل ونشـــأتها و أيضـــا جاءت على ذكر زوجها الراحل ونعته في هذه السيرة الذاتية بكلمات رقيقة.

و لم يتوقف الإنتاج الأدبي للدكتورة عائشة عند هذا الحد بل كانت أيضاً تكتب للصحف والمجلات، فبدأت الكتابة، وهي في سن الثامنة عشر في مجلة النهضة النسائية وقـــد كانت تكتب تحت اسم (بنت الشاطئ)، وهو اسم مستعار مستمد من ذكرياتها و لهوها علي شاطئ النيل وقد فضلت كاتبتنا آن تستتر ورائه نظراً لشدة محافظة عائلتها آنذاك، وبعد ذلك بعامين فقـــط بدأت الكتابة في جريدة الأهرام المصرية، وهي تعتبر من أعرق الصحف اليومية العربية، فكـــانت بنت الشاطئ ثاني امرأة تكتب بها بعد الأديبة مي زيادة، وكانت لها مقالة طويلة أسبوعية حيث بقيت تكتب للأهرام حتى وفـــاتها فكانت آخر مقالة نشرت لها في تاريخ 26 نوفمبر 1998 وكانت بعنوان (علي بن أبي طالب كرم الله وجه).

وقـــد تبنت الدكتورة عائشة عدة قضايا في حياتها خاضت بسببها العديد من المعارك الفكـــرية، فأخذة على عاتقها الدفاع عن الإسلام بقلمها فوقفت ضد التفسير العصري للقرآن الكـــــــريم ذوداً عن التراث، كما دعمت تعليم المرأة بمنطق إسلامي.

مناصبها:

كانت بنت الشاطئ كاتبة ومفكرة وأستاذة وباحثة ونموذجًا للمرأة المسلمة التي حررت نفسها بنفسها بالإسلام، فمن طفلة صغيرة على شاطئ النيل في دمياط إلى أستاذ للتفسير والدراسات العليا في كلية الشريعة بجامعة القرويين في المغرب، وأستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها في جامعة عين شمس بمصر، وأستاذ زائر لجامعات أم درمان 1967 م والخرطوم، والجزائر 1968 م، وبيروت 1972 م، وجامعة الإمارات 1981 م وكلية التربية للبنات في الرياض 1975-1983 م.

تدرجت في المناصب الأكاديمية إلى أن أصبحت أستاذاً للتفسير والدراسات العليا بكلية الشريعة بجامعة القرويين بالمغرب، حيث قامت بالتدريس هناك ما يقارب العشرين عامًا. ساهمت في تخريج أجيال من العلماء والمفكرين من تسع دول عربية قامت بالتدريس بها، قد خرجت كذلك مبكرًا بفكرها وقلمها إلى المجال العام؛ وبدأت النشر منذ كان سنها 18 سنة في مجلة النهضة النسائية، وبعدها بعامين بدأت الكتابة في جريدة الأهرام فكانت ثاني امرأة تكتب بها بعد الأديبة مي زيادة، فكان لها مقال طويل أسبوعي، وكان آخر مقالاتها ما نشر بالأهرام يوم 26 نوفمبر 1998. وكان لها مواقف فكرية شهيرة، واتخذت مواقف حاسمة دفاعًا عن الإسلام، فخلّفت وراءها سجلاً مشرفًا من السجالات الفكرية التي خاضتها بقوة؛ وكان أبرزها موقفها ضد التفسير العصري للقرآن الكريم ذودًا عن التراث، ودعمها لتعليم المرأة واحترامها بمنطق إسلامي وحجة فقهية أصولية دون طنطنة نسوية، وموقفها الشهير من البهائية وكتابتها عن علاقة البهائية بالصهيونية العالمية.

مؤلفاتها:

أبرز مؤلفاتها هي: التفسير البياني للقرآن الكريم، والقرآن وقضايا الإنسان، وتراجم سيدات بيت النبوة، وكذا تحقيق الكثير من النصوص والوثائق والمخطوطات، ولها دراسات لغوية وأدبية وتاريخية أبرزها: نص رسالة الغفران للمعري، والخنساء الشاعرة العربية الأولى، ومقدمة في المنهج، وقيم جديدة للأدب العربي، ولها أعمال أدبية وروائية أشهرها: على الجسر.. سيرة ذاتية، سجلت فيه طرفا من سيرتها الذاتية، وكتبته بعد وفاة زوجها أمين الخولي بأسلوبها الأدبي. وكتاب "بطلة كربلاء"، وهو عن السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب، وما عانته في واقعة عاشوراء في سنة

61 بعد الهجرة، ومقتل أخيها الحسين بن علي بن أبي طالب، والأسر الذي تعرضت له بعد ذلك كتاب *التفسير البياني للقران الكريم*:

هو أحد مؤلفات عائشة بنت الشاطئ، ويتكون هذا الكتاب من جزأين ظهـــرت الطبعة الأولى منه سنة 1962م وكان من المؤهلات التي نالت بها أستاذ كرسي اللغة العربيـــة وأدبهـــا بجامعة عين شمس، وقد أهدت بنت الشاطئ هذا الكتاب إلى أستاذها وزوجها الإمام أمين الخولي.

تناولت بنت الشاطئ في هذا الكتاب تفسير السور القصار من القرآن الكريم وذلك من وجهـــة نظر خاصة، حيث فسرت ألفاظ القرآن الكريم من الناحية اللغوية فقد قدرت أن العربيـــة في لغة القرآن فعملت على تلمس الدلالات اللغوية الأصلية التي تعطينا حس العربية لمادة القرآن الكريم في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية، ثم انتهت بتلخيص ملامح الدلالات القرآنية باستقراء كل ما في القرآن من صيغ الألفاظ وتدبير سياقها الخاص في الآيات والصور.

وقد تميز أسلوبها في هذا الكتاب بوضوح اللغة وسهولتها، وعملت على الاستشهاد بالكثير من الأحاديث النبوية الشريفة، وقد قامت بالربط بينها وبين السور القرآنية المذكورة في الكتاب ، كما أوردت آراء بعض علماء اللغة والدين من أمثال الشيخ محمد عبده والحسن البصري والزمخشري.1

1. 1- موقع www.islamonline.net (مقال: هبة رؤوف عزة، عائشة عبد الرحمن- بنت الشاطئ)

3-4 التفسير البياني :

<<و التفسير البياني هو التفسير الذي يبن أسرار التركيب في التعبير القرآني فهو جزء من التفسير العام تنص فيه الغاية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم و التأخير و الذكر و الحذف و اختيار لفظة على أخرى و ما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير فالقرآن هو تعبير بياني مقصود أي كل كلمة وحرف فيه وضع وضعا مقصودا و لم تراع في هذا الوضع الآية وحدها و لا السورة وحدها بل روعّي في هذا الوضع التعبير القرآن كله>> 1، ويقول الأستاذ أمين خولي ((فصواب الرؤى أن يفسر القرآن موضوعا موضوعا ، لا أن يفسر على ترتيبه في المصحف الكريم...وإذا كانت للمفسر نظرة في وحدة السورة وتناسب آيتها و اطراد سياقتها فلعلا ذلك إنما يكون بعد التفسير المستوفي للموضوعات المختلفة فيها))3 ولقد تحدى القرآن العرب ثم جميع الخلق بأن يأتوا بمثله ، فلما انقطعوا و قامت الحجة عليهم تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله و

التحدي {قل لئن اجتمعت الإنس والجن على لأن لأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا} الإسراء: ٨٨

يرى الأستاذ أمين خولي ((أن الاهتداء بالقرآن مقصد جليل إلا أنه ليس هو الغرض الأول من التفسير بل المقصد الأسبق والغرض الأبعد في نظره – هو النظر في القرآن من حيث هو كتاب العربية الأكبر وأثرها الأعظم ، هذا الغرض تنشعب عنه الأغراض المختلفة وتقوم عليه المقاصد المتعددة ....))4 فمعجزة القرآن التي فيها تحد للكافرين في الماضي والحاضر والمستقبل ، هي الإعجاز البياني لأنه لا إعجاز إلا بعد العجز ، ولا عجز إلا بعد التحدي و المعاجزة ، و لا تحدي إلا بعد دعوى و إنكار وإقامة حجة ، و لم يطلب الله من الكفار إلا الإتيان ببيان كالبيان الذي في القرآن

1- على طريق التفسير فاضل صالح السمراء _ ص7

2_ مناهج تجديد في النجو و البلاغة و التفسير و الأدب _ أمين الخولي_ ص229

3_ نفس

الكريم وقد اقر الأستاذ مالك ابن نابي ذلك حينما قال في كتابه (الظاهرة القرآنية): ((إن الذين تحداهم به كانوا يدركون أن ما طلبوا به من الإتيان بمثله ، أو بعشر سور مثله مفتريات ، هو هذا الضرب من البيان ، الذي يجدون في أنفسهم أنه خارج من جنس بيان البشر)) 1.

وهو نفس ما ذهب إليه سيد قطب في كتابه (التصوير الفني) : ((يجب أن نبحث عن منبع السحر في القرآن قبل التشريع المحكم ، وقبل النبوءة الغيبية ، وقبل العلوم الكونية فقليل القرآن الذي كان في أيام الدعوى الأولى كان مجردا من هذه الأشياء التي جاءت فيها بعد ، وكان –مع ذلك- محتويا على النبع الأصيل الذي تذوقه العرب ...)) 2.

- وبزت في مجال التفسير البياني للقرآن الكريم في العصر الحديث اهتمامات متميزة .

أولا : محمد عبده (1849 –1905)

دعا إلى العودة إلى البيان العربي في مصادره الأولى حتى يتمكن الإنسان المعاصر من تحصيل الدقة اللازمة في فهم القران الكريم ، وبادر الشيخ الإمام إلى تدريس كتابي((دلائل الإعجاز)) و ((أسرار البلاغة)) لعبد القاهر الجرجاني (471 هـــ) بعد عودته من منفاه في الشام سنة 1888 م ثم قام بنشر الكتابين .و إذا كان النص القرآني قد تقاسمته اهتمامات عديدة في ضوء ما شهدته العصور الحديثة من تحولات فإن العناية بالجانب الأدبي فيه قد أخضت حظها . وقد اعتبر د. عفت الشرقاوي الاتجاه في التفسير الأدبي ((أوسع أفاقا وأعمق تأملا ، وأكثر صلة بالفكر الحديث ، وأغزر لإضافة إلى التراث التفسيري))3 وهو اتجاه حاول أصحابه أن يكشفوا وجود الإعجاز البياني في القرآن الكريم وحاول تطبيق تحليل النصوص الأدبية على النص القرآني مع مراعاة ما يتميز به القرآن.

1_مالك بن نبي_الظاهرة القرانية_ص59

2_ سيد قطب_ التصوير الفني في القران_ص18

3_محمدعفت_ الفكر الديني_ط2_1979_ص296

ثانيا: سيد قطب

يلاحظ تأثير هذا التفسير بنظرة سيد قطب الفنية والذاتية فضلا عن تخصصـــه في الأدب فتبدو فنية الاتجاه و أدبيته عنده واضحة جلية تطالعك منذ النظرة الأولى في تفسيره ، فإن إعجاز القرآن عنده ، كما أكد عليه في كتاب ((التصوير الفني)) يتمثل في بيانه وتعبيره ، ويتمثل في طريقة التصوير الفني التي عرض بها موضوعاته ، والتي من أجللها كان له سحره الخاص وتأثيره الخاص ، و جاذبيته الخاصة ، و التي تساوي في الإقرار بها المؤمنون و الكافرون على السواء في القديم و الحديث.

و الإعجاز الفني عنده لون من الإعجاز البياني لم يتكلم سيد قطب على إعجاز القرآن البياني بصراحة في كتاب (التصوير الفني) و أنما تحدث عنه من خلال مصطلحات حديثة مثل (سحر القرآن) و(التصوير في القرآن).

و استفاد من فكرته التصويرية دارسو الأدب و النقد وكذلك كان لها أثر ملحوظ على كثير من الدراسات الأدبية و النقدية التي صدرت بعد تأليف (التصوير الفني)، وقد نوه (محمد المبارك) في مقدمة كتابه (من منهل الأدب الخالد) بجهود سيد قطب في عرض الجمال الفني في القرآن و أشار إلى الأثر الكبير لدراسته الأدبية الفنية للقرآن الكريم ، فهو خير من تناول الجانب الفني في القرآن في هذا العصر وجعل التصوير الفني منبع السحر في القرآن و دعامة إعجازه . وكانت أعماله رائدة .

ثالثا : مدرسة الأمناء أو مدرسة التفسير الأدبي للنص القرآني

في مطلع عشرينيات القرن الماضي ظهرت ((جماعة الديوان)) على الساعة الأدبية و النقدية، ودعت إلى تجديد الأدب العربي عن طريق وصله بالآداب الأجنبية، حتى يعبر عن مظاهر النهضة الحديثة فكريا وفنيا.

و في الثلاثينيات ذلك القرن ظهرت جماعة ((أبولو)) التي أسهمت في نهضة الفن الشعري في عالمنا العربي.

أما في الأربعينيات منه فقد ظهرت ((جماعة الأمناء)) وهي جماعة أنشأها أمين الخولي (1895-1966) وقد تكونت منه 1943 ، وساهم بعض أعضاء هذه الجماعة في تأسيس مدرسة التفسير الأدبي للنص القرآني

وقد تزعم أمين الخولي المدرسة وكان متأثرا بمدرسة محمد عبده في تجديد حياة التفسير القرآني . وتولى دراسة البلاغة و الأدب حين كان أستاذا في الجامعة المصرية من سنة 1929م إلى سنة 1952 م وكانت له آراء تجديدية ضمنها كتابه ((مناهج تجديد في النحو و البلاغة و التفسير و الأدب)) , وقد دعا أمين الخولي إلى اعتماد المنهج الأدبي في تفسير ورأى أن أ,ل ما ينبغي القيام به هو النظر إلى القرآن من حيث هو كتاب العربية الأكبر ، وأثرها الأدبي الأعظم 1وهو يرى أن دراسة النص القرآني ينبغي أن تتناول ما يلي :

أ) التأمل في الظروف العامة التي أحاطت بالنص القرآني، أي الانفتاح على علوم القرآن (وكانت المرحلة متأثرة بالمنهج التاريخي)

ب) تحليل النص بالنظر في مفرداته وتتبع أصولها ومعانيها في العصر الذي نزل فيه القرآن مع القيام باستقراء لتلك المعاني ، بمختلف استعمالاتها في القرآن

ت) الدراسة الأسلوبية: أي الاستعانة بالصيغة النحوية قصد بيان المعنى وتحديده و النظر في اتفاق القرارات المختلفة للآيات.

ث) النظرة البلاغية: و المراد بها تلك ((النظرة الأدبية الفنية التي تتمثل الجمال ألقولي في الأسلوب القرآني، وتتبين معارف الجمال، و ستجلي قسماته في ذوق بارع قد يستشف خصائص التراكيب العربية لمعرفة المزايا الخاصة بها بين آثار العربية))2

وبعد أن يرسم الخطوط العربية للمنهج الذي يقترحه للتفسير الأدبي للقرآن ، يؤكـــد أن التفسير

1_دائرة المعارف الأسلامية_365_5

2_ نفسه

هو الدراسة الأدبية الصحيحة المنهج ، الكاملة ، المستقلة التوزيع ، ويرى أن المقصد الأول للتفسير اليوم أدبي محض صرف ، غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك .

وقد تناول تلامذته هذا المنهج بالتوضيح وعملوا على تطبيقه في بحوثهم وفيما يلي أتناول نماذج تمثل هذا الاتجاه

رابعا : دار أحمد أحمد بدوي (1950) ((من بلاغة القرآن))

هذا كتاب حدد فيه صاحبه المنهج الأدبي في دراسة النص القرآني بدقة ووضوح في مقدمته فرأى أن دراسة النص تتطلب:

الوقوف عند مفردات النص، ودراسة الجملة في النص لإدراك سر قوتها، ودراسة النص باعتباره وحدة متصلة لأجزاء يتحقق فيها الترابط و الوضوح و التأثير ، وقراءة المعاني التي اشتمل عليها النص ، من حيث قوتها وضعفها و أصالتها ، وأثرها في تكوين الصورة ، مع ملاحظة مابين اللفظ و المعنى من تناسب ....

كما قسم كتابه إلى قسمين : خص الأول منها بدراسة البلاغة القرآنية في اللفظ و الأسلوب ، وخصص الثاني بدراسة المعاني ، يقول د/ أحمد أحمد بدوي : ((و القرآن آمة وحدة في البلاغة العربية ، فأرادت أن أتبين في النفوس و سلطان على القلوب ، وقد سرت في دراستي على المنهج الذي تحدثت عنه)).

خامسا : شكري محمد عياد : ((يوم الحساب)) (1948)

كان شكري محمد عياد من أوائل المطبقين لمنهج أستاذه الخولي في رسالته للماجستير ، وكان موضوعها ((من وصف القرآن ليوم الدين و الحساب)) بدا الباحث بقوله : ((هذا بحث سطرته منذ ثنين و ثلاثين سنة و كانت (مدرسة التفسير الأدبي) ، تحاول شق طريقها في حياتها الجامعية و الثقافية وسط أعاصير من سوء الفهم وضيق الأفق)).1

ـــيوم الدين و الحساب شكري ممحمد عيادـــص5

وتناول في مقدمة بحثه المنهج الأدبي في التفسير فاستعرض مقاله الأستاذ الخولي عن التفسير وحدد من خلالها منهج التفسير الأدبي في مجالين :

دراسة حول القرآن، ودراسة في القرآن، وقد طبق أصول هذا المنهج الأدبي في التفسير حين حاول أن يدرس الوصف القرآني ليوم الدين و الحساب، وقسم بحثه إلى ثلاثة أبواب: المفردات – الأساليب – المرمي

سادسا: محمد أحمد خلف الله ((الفن القصص في القرآن الكريم)) (1953)

قدم رسالته بالعنوان أعلاه للحصول على درجة الدكتوراه تحت إشراف أمين الخولي ، وكان أحد تلامذة مدرسة التفسير الأدبي للنص القرآني ، و ذكر أن من بين الأسباب التي جعلته يعنى بالدراسة الأدبية ، و أن يجعل من القرآن ميدان أبحاثه ، ما تركته دروس أستاذه الخولي في نفسه عن المنهج الأدبي في فهم القرآن و تفسيره .

وقد حدد خطوات منهجية في :

جمع النصوص وتحديدها

- ترتيبها تاريخيا قصد ربطها ومعرفة تطورها.
- فهمها يقوم على مستويين ، يقوم على دراسة الألفاظ و التراكيب و الجمل ،

و على توضيح العلاقات الغامضة و الإشارات التاريخية أما المستوى الثاني فهو لا يقوم على تحديد ما في النص من صور و آراء وعما خلفته من معاني أخرى لم يشعر صاحب النص بالحاجة إلى التعبير عنها ، إما لأنه كان يفهمها في نفسه ، وإما لأن المعاصرين له كانوا يفهمونها عنه))1

- وقال في خاتمة بحثه أنه انتهى بالقارئ إلى درس أدبي أو بلاغي فني للقصة القرآنية، وهو درس يكشف عن بعض أسرار الإعجاز.

1_ الفن القصصي في القران_ص9_ط4

سابعا: عائشة عبد الرحمان (التفسير البياني للقران الكريم) (1962)

لاحظت الباحثة أن صاحب الدرس الأدبي قد شغلوا بالمأثور الشعري والـــنثري في التراث القديم ، عن الاتجاه إلى القرآن الكريم ، وهو الذي لا جدال في أنه كتاب العربية الأكبر ، ومعجزتها البيانية الخالدة ، ومثلها العالي الذي يجب أن يتصل به كل ذي عروبة أراد أن يكسب ذوقها ، ويدرك حسها ومزاجها ، ويستشف أسرارها من التعبير و الأداة ، مسلما كان أو غير مسلم))

وترى الباحثة أن الدرس التفسيري ظل تقليديا أثريا إلى نحو قرن من الزمان حتى الشيخ الإمام الأستاذ أمين الخولي ((فخرج به عن ذلك النمط التقليدي ، وتناله نصا أدبيا على منهج أصله وتلقاه عنه تلامذته ، وأنا منهم)) إلى أن قالت : ومنذ سنين و أنا أقوم بهذه المحاولة في دراسة القرآن الكريم باعتباره نصا أدبيا ، تطبيقيا للمنهج الذي تلقيته))

وقد لخصت هذا المنهج في مقدمة كتابها وجعلته :

- في التناول الموضوعي لما يراد فهمه من كتاب الإسلام

- و في فهم ما حول النص من ظروف و ملابسات .
- وفي فهم دلالات الألفاظ في استعمالاتها المختلفة
- و في فهم أسرار التعبير القرآني

و هكذا قدمت الباحثة دراستها التطبيقية على مجموعة من السور القصار، مؤكدة أن فهم مفردات القرآن و أساليبه يقومان أساسا على الدرس الأدبي الدقيق، المتذوق للأقصى ما يقدمه إيجاد التعبير وقد تمسكت الباحثة بالكلمة القرآنية في ضوء دلالتها السياقية و ما توحيه من ظلال و أبعاد في النفس والفكر. كما تناولت الظواهر الأسلوبية بمنهج استقرائي يراعي السياق الخاص في الآية و السورة ، والسياق العام في القرآن كله

1_ التفسير البياني_ص13_14_ط3

خلاصة

اتضحت ملامح التفسير الأدبي للنص القرآني في أواسط القرن العشرين، وحاول الأمناء أن يتميزوا بمنهج في تحليل النص القرآني وما يحسب لهؤلاء أنهم اتخذوا المستوى الفني في النص القرآني المقصد الأول في الدرس.

4-4منهجها:

المنهج الذي بنت عليه تفسيرها و اخذته عن استاذها الشيخ أمين الخولي له ضوابط شرحها في كتابه (مناهج التجديد) لخصته الدكتورة عائشة عبد الرحمان.في مقدمة الطبعة الخامسة من كتابها وفيه:

1 - **الأصل في المنهج**: التناول الموضوعي لما يراد فهمه من القران ,ويبدأ بجمع كل ما في الكتاب المحكم من سور و ايات في الموضوع المدروس.

2 - **فهم ما حول النص**: ترتيب الايات فيه على حسب نزولها و ظروف الزمان و المكان كما يستأنس بالمرويات في أسباب النزول من حيث هي قرائن لا بست نزول الاية,دون أن يفوتنا ما تكون العبرة فيه لعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الاية.

3 - **فهم دلالات الألفاظ**: نلتمس الدلالة اللغوية الأصلية التي تعطينا حس العربية للمادة في مختلف استعمالاتها, الحسية و المجازية ,ثم تخلص للمح الدلالة القرآنية باستقراء كل ما في القران من صيغ اللفظ و تدبر سياقها في الآية و السورة و في القران كله.

4 - **فهم أسرار التعبير**:نحتكم إلى سياق النص في الكتاب المحكم, ملتزمين بما يحتمله نصا و روحا,ونعرض عليه أقوال المفسرين,فنقبل منها ما يقبله النص, ونتحاشى ما أقحم علي كتب التفسير من المدسوس الإسرائيليات ,و شوائب الأهواء المذهبية وبدَع التأويل .

كما نحتكم إلى الكتاب العربي المبين المحكم في التوجيه الإعرابي و الأسرار البيانية ,نعرض عليه قواعد النحويين و البلاغيين ولا نأخذ فيه بتأويل العلماء السلف على صريح نصه و سياقه لتسوية قواعد الصيغة النحوية و ضوابط علوم البلاغة .

1_مقدمة_التفسير البياني

من خلال ما تقدم نستنتج أن بنت الشاطئ تبني دراستها على منهج له أصوله واضح في مفرداته وأهدافه و غاياته,فالأصل عندها في منهج التفسير البياني هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد و جمع كل ما في القران عنه,ويهتدي بمألوف استعماله للألفاظ و الأساليب,بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذلك و هذا المنهج يختلف عن الطرق السابقة,حيث يؤخذ اللفظ او الآية فيه مقتطعا من سياقه العام,مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه واستجلاء ظواهره الأسلوبية و خصائصه البيانية .

إن المؤلفة لا تقلل من قيمة تلك المناهج, وإنما تردف بدراسة تخدم النص القرآني دون إنكار جهود السابقين كما تقدم ذكرهم.

4-5 تطبيق المنهج:

ولنضرب مثلا على تطبيق عائشة بنت الشاطئ لهذا المنهج في تفسير بعض السور القرآني

وذلك بالتطرق إلى الجوانب التالية:

أ - **سياق السورة:**

تذكر في البداية ترتيب السورة، إذا كانت مدنية أو مكية، ثم تذكر سبب النزول باعتمادها على بعض كتب التفسير (تفسير الكبير) للفخر الرازي، (جامع البيان) للطبري،(الكشاف) للزمخشري، وغيرها من كتب التفسير.

كقولها في سورة الهمزة: " السورة مكية، والمشهور في ترتيب نزولها أنها الثانية والثلاثون" [1].

وقيل نزلت في الأخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة، وقيل في أمية بن خلف.

وقيل في الوليد بنم المغيرة، واغتيابه الرسول صلى الله عليه وسلم وغضبه منه.[2]

وتشير لهذا إلى الخلاف الوارد بين الروايات في سبب النزول وتورد في بعض الأحيان إذا كانت هناك علاقة تربط بين السورة في المناسبة أو السياق مثلما ذكرته في سياق الشرح فتقول: " سورة مكية، نزلت بعد سورة الضحى واقترنت بها في رواية تقول: إن الضحى والشرح سورة واحدة لما يبدو من المناسبة في سياق تعدد النعم". [3]

- وكقولها في سورة الشرح:" السورة مكية، وأنها نزلت بعد سورة الضحى، والمشهور الحادية عشر في ترتيب النزول" .

وتشير لهذا إلى الخلاف الوارد بين الروايات في سبب النزول وتورد علاقة الترابط بينها وبين سورة الضحى في المناسبة أو السياق فتقول: " سورة مكية، نزلت بعد سورة الضحى واقترنت بها في رواية تقول: إن الضحى والشرح سورة واحدة لما يبدو من المناسبة في سياق تعدد النعم، بين

[1] التفسير البياني للقرآن الكريم: ج167/2.

[2] الكشاف: ج283/4.

[3] التفسير البياني للقرآن الكريم: ج57/1.

قوله تعالى في سورة الضحى: ألم يجدك يتيما فئاوى....وقوله في الشرح: ألم نشرح لك صدرك... ورده النيسابوري قائلا: " وفيه ضعف، لأن القرآن كله في حكم كلام واحد....على أن الاستفهام في الضحى وارد بصيغة الغيبة، وفي الشرح بصيغة المتكلم، وهذا مما يوجب المباينة لا المناسبة" .

وقال محمد عبده: " السورة مكية عند الجمهور، بل زعم بعضهم أنها تتمة لسورة الضحى، وعلى هذا تكون المنة بشرح الصدر، مبنية على عود الوحي والتبشير بما جاء في سورة الضحى" .

قوله: إنها مكية عند الجمهور، يشعر بأن من المفسرين من ذهب إلى كونها مدنية، وقد قال " البقاعي" إنها مدنية بناء على ما يفهم من التقرير بشرح الصدر وما بعده. وهذا إنما كان بعد ظهور القوة، وبعد أن فتح الله على المسلمين ما فتح عليهم، وأكمل لهم النعمة بغلبة حقهم على باطل خصوصهم, ويرد على هذا أن في كثير من السور الكية ما يقرر قوة المسلمين وغلبة حقهم على باطل خصوصهم ,وجاءت السورة في بعض التفاسير مثل الطبري باسم" ألم نشرح" وفي تفاسير أخرى, سورة الأنشراح.

ب - دلالة اللفظ وتأثير السياق عليها:

تدخل في تفسير الألفاظ الواردة في السورة لفظة مبدية الآراء التي ذكرت معاني الألفاظ.

في مثال ذلك : ما ورد ذكره في سورة الضحى حول تفسير قوله تعالى: والضحى والليل إذا سجى الضحى/1-2 ، في بداية تقف عند واو القسم وتقول في ذلك: " والرأي السائد عند الأقدمين، أن هذا القسم القرآني يحمل معنى التعظيم للمقسم به... وسادت هذه الفكرة فألجأتهم إلى اعتساف في بيان وجه التعظيم في كل ما أقسم به القرآن الكريم بالواو، إلى أن تقول ... فالقسم بالواو في مثل (والضحى) غالبا أسلوب بلاغي لبيان المعاني بالمدركات الحسية وما يلمح فيه من الإعظام، إنما يقصد به إلى قوة اللفت واختيار المقسم به تراعي فيه الصفة التي تناسب الموقف".1

ثم تعرض اختلاف آراء المفسرين حول معنى لفظة (الضحى) على أن الضحى يقصد به :

النهار، أو هو صدر النهار، أو هو ضوء الشمس في شباب النهار، إلى غير ذلك من الآراء، فتقول في ذلك: " فلننظر فيما اختلف فيه المفسرون في معنى الضحى: أهو النهار كله، أم ساعة

منه؟ (والليل إذا سجى)، هل معناه أقبل أو أدبر؟ واشتد ظلامه وسكن، أو سكنت الناس و الأصوات فيه

وإذا كان اللفظ لغة يحتمل أكثر من معنى على ما ذكروا في ضحى وسجى فإنّ البلاغة لاتجيز إلا معنى واحدا في المقام الواحد، يقوم به لفظ بعينه، ولا يقوم به سواه". ثم تعقب على ذلك بإيرادها لمعنى (الضحى) من الجانب المعجمي فتقول: " 1 واللغة قد عرّفت الضحى وقتا بعينه من النهار، وبه سميت الضحى لوقوعها فيه، والضاحية من الإبل التي تشرب ضحى، وقالوا ضحى فلان غنمه، إذا رعاها الضحى، وضحّى الشاة ذبحها يوم النحر، وهذا هو أصل الاستعمال فيما ذكر لسان العرب، وقال (يعقوب) في الأضحى: يسمى اليوم أضحى بجمع الأضحاة وهي الشاة التي تذبح ضحى النهر، وهي أيضا الأضحية الضحية.

1_ التفسير البياني للقران الكريم _ج1_ص24_25

وإذا كان اللفظ لغة يحتمل أكثر من معنى على ما ذكروا في ضحى وسجى فإنّ البلاغة لاتجيز إلا معنى واحدا في المقام الواحد، يقوم به لفظ بعينه، ولا يقوم به سواه". ثم تعقب على ذلك بإيرادها لمعنى (الضحى) من الجانب المعجمي فتقول: " 1 واللغة قد عرّفت الضحى وقتا بعينه من النهار، وبه سميت الضحى لوقوعها فيه، والضاحية من الإبل التي تشرب ضحى، وقالوا ضحى فلان غنمه، إذا رعاها الضحى، وضحّى الشاة ذبحها يوم النحر، وهذا هو أصل الاستعمال فيما ذكر لسان العرب، وقال (يعقوب) في الأضحى: يسمى اليوم أضحى بجمع الأضحاة وهي الشاة التي تذبح ضحى النهر، وهي أيضا الأضحية الضحية.

ودلالة الوضوح هي الملحوظة في كل الاستعمالات الحسية للمادة: فالضاحية السماء، ومنه قبل ظهر وبدا ضاحية، والمضحاة الأرض التي لا تكاد تغيب الشمس عنها، وضحا الطريق : بدا وظهر، وقالوا: لم يبرز للشمس: ضحا ضحوا وضحوا وضحيا، كما قالوا لمن ضربته الشمس ضحا كذلك والضحياء الفرس الشهباء.

ومن هذا الوضوح والظهور الملحوظ في الاستعمالات الحسية للمادة، قيل: فعل فلان،كذا ضاحية، أي علانية، على أن أكثر ما يستعمل الضحى في الوقت المعني من صدر النهار، فويق ارتفاع النهار، حين يتم وضوح الشمس، ومنها ما يستعمل في كل ما وقع فعل في هذا الوقت بعينه، فيقال: أضحى فلان إذا صار في الضحى، أو أتيتك ضحوة ، وضحى2.

ثم تورد معنى اللفظة في الاستعمال القرآني، فتقول عن (الضحى): " وفي الاستعمال القرآني، ترى القرآن الكريم استعمل الضحى مقابلا للعشيّة في آية النازعات/46:

قوله تعالى: كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها. أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها)النازعات/27-29.

1_ نفسه_ ج1_29_28

كما استعمل ظرف زمان لهذا الوقت بعينه من النهار في:

(أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون) الأعراف/98.

(قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى) طه/59.

ومثال ذلك أيضا في سورة (العاديات) عن لفظة(جمعا) تقول: " ونتدبر جمعا" هنا، فنلمح دلالتها البيانية، حين نذكر أن هذا اللفظ يأتي كثيرا في القرآن، للحشد الكاثر في المعركة، ومع مظنة القوة والغلبة كما في آيات:

القمر 44: " أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ".

آل عمران155: " إنّ الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا " .

القصص 78: " قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا" ؟

آل عمران 173: " الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا"

الأعراف 48: " ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون"

تقول: " وسمّي اليوم الآخر في القرآن يوم الجمع، لاحتشاد الخلق به بعد بعثهم: " ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود"

كما سمّي موقف الحشر جمعا:

" وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا"

كما استعمل الإجماع في حشد الرأي وتدبير الأمر وإحكام المكيدة، في مثل آيات:

يوسف 15: "فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب"

يونس 71: "واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم" .

طه 64: " فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى" .

وبكل ما لهذا اللفظ من دلالات الحشد، والتجمع، ومظنة القوة، يأتي في " فوسطن"

" العاديات ضبحا" ، في إغارتها المصبحة، وسط النقع المثار . هنا بلغ المشهد ذروته...1

فنراه هنا عيّن للموعد يوما هو يوم الزينة, ثم خصّ وقتا منه من بالتحديد هو(الضحى)

مما يبعد تفسير الضحى بأنه النهار كله , و تبعده كذلك آية " الشمس " التي أقسم القرآن فيها بالشمس و ضحاها حيث لا نرى المعنى يستقيم لو فسّرناه بالنهار، فقلنا: الشمس و نهارها و إنما هو (وقت انبساط الشمس) كما اطمأن الراغب في(المفردات), أو هو :صدر النهار حين ترتفع الشمس و ظهر سلطانها,كعبارة النيسابوري في (الغرائب).

بهذه الطريقة:فسرت الألفاظ الواردة في السور التي قامت بدراستها , و مثال ذلك أيضا :

ففي سورة "الشرح" عن لفظة (العسر) تقول (2): (وقد استعملت العربية (العسر) ماديا حسيا في اشد الضيق , فالعسر : الناقة لم ترض, و عسرت المرأة إذا عسر ولادها,و عسرت المدين إذا طلبت منه الدين على عسرته.

1_ نفسه_ج 1ص 71_72

و يأتي في القرآن وصف لليوم الآخر في شدته على الكافرين في آيات:

- (القمر/8):"يقول الكافرون هذا يوم عسر".
- (المدثر/8-9) : "فإذا نقر في الناقور, فذلك يومئذ يوم عسير".
- (الفرقان/26): "و كان يوما على الكافرين عسيرا".

كما استعمله في حالات الشدة البالغة ,و العنت القاسي في آيات :

- (الليل/8-10): " و أما من بخل و استغنى , و كذب بالحسنى , فسنيسره للعسرى".
- (الطلاق/6): "و إن تعاسرتم فسترضع له أخرى".
- (الطلاق/7): "سيجعل الله بعد عسر يسرا".
- (لتوبة/117):"و الأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة".
- (الكهف/73):"قال لا تؤاخذني بما نسيت و لا ترهقني من أمري عسرا".

و في إرهاق المدين حين يطالب بالدين وليس معه مال:

- (البقرة/280): " و إن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة"
- ومثال ذلك أيضا: (وللآخرة خير لك من الأولى) الضحى/ 4

تقول: " الآخرة تأتي غالبا مقابل الدنيا، والمعنى الأول في المادة هو التأخير، كما أن المعنى في الدنيا هو الدنو، فإذا اقترنت الآخرة بالدار، أو باليوم، غلب أنها اليوم الآخر، أما إذا أطلقت ، فهي ذات دلالة أعمّ، يدخل فيها النهاية والمصير، سواء في هذه الحياة أو فيما بعدها.

وفي آية الضحى يرجّح أن الآخرة هي الغد المرجو، مجيئها مع لك خاصة بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقد أكّد الله بهذا الخير الموعود نفي التوديع والقلى، ليذهب عن رسوله أثر فتور الوحي.

وتورد بعد ذلك أسباب ووجود على نحو ما فعل بعض المفسرين من خلال صلة هذه الآية بالآيات التي قبلها، ثم تذكر ورود الكلمة في القرآن فتقول: " وفي القرآن الكريم وردت الكلمة مائة وثلاث عشر مرة، فيما أحصيت يغلب أنها للدار أو الحياة الآخرة، مقابلة للدنيا، على أنها قد تأتي لغيرها بدلالة مع صريح السياق، مثل:

ـ[ص/]: ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق .

وتستأنس في فهم آية الضحى، بآيات مثلها جاءت فيها الآخرة مقترنة بالأولى بواو العطف:

- [النجم/]: فلله الآخرة والأولى.
- [النازعات/]: فأخذه الله نكال الآخرة والأولى.
- [القصص/]: له الحمد في الأولى والآخرة.
- [الليل/]: وإن لنا للآخرة والأولى.

فنرى آية الضحى تنفرد عنها بأنها خاصة بمحمد صلى الله عليه وسلم في حالة بعينها هي توهّم توديع الله إياه في أولاه، وقد نفى الله تعالى هذا التوديع، ثم أكد له أن أخراه خير من أولاه.

وبنت الشاطئ بمنهجها هذا تعتمد على طريقة إحصائية، تحصي من خلالها تكرر اللفظة في القرآن وتعدد معانيها حسب السياقات الواردة فيها، وهي بهذا لم تقتصر على المعنى وتعدده فحسب بل تطرق جوانب أخرى في دراستها هذه.

ج- معنى الصيغة:

ومثال ذلك: ما ورد في قراءة زلزالها حيث تقول1 " وقرأ الجمهور (زلزالها) بكسر الزاي وهي قراءة الأئمة السبعة، وفي قراءة بفتحها، والفرق بينهما أن المكسور مصدر، والمفتوح اسم، وليس في الأبنية – كما قالوا – (فعلال) بالفتح إلا في المضاعف.2

1نفسه_ج83,1

2أنظر الكشاف ، 285,ج4

والمصدرية أولى بالمقام، لما فيها من تأكيد يلائم السياق، ويؤيده تعيّن المصدرية في الآية الأخرى التي استعمل فيها القرآن هذه الصيغة، وهي آية: [الأحزاب/]: هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ، وإضافة الزلزال إلى ضمير الأرض، متّسق مع التلقائية الملحوظة في هذه الآية وما بعدها من إخراج الأرض أثقالها وتحدثها أخبارها، وفيها أيضا لفت إلى المعهود المعروف في الزلزلة، ولا بأس بما قال : (الزمخشري) هنا من أنه :(زلزالها الشديد الذي ليس بعده زلزال ،وقول أبي حيان : "و أضيف الزلزال إلى الأرض إذا المعنى زلزالها الذي تستحقه و يقتضيه جرمها و عظمها ... ولو لم يضف لصدق على كل قدر من الزلزال وإن قل الفرق بين أكرمت زيدا كرامة و كرامته، واضح".

ت) التركيب النحوي :

قولها عن الآية: {ما أنت بنعمة ربك بمجنون}[القلم/2] عن الباء، ونقف هنا عند هذه الباء في خبر ما:(بمجنون) و قد جرى النحاة و المفسرون على القول بأنها زائدة ، فهي تعمل في لفظ الخبر، يبقى الحكم الإعرابي على أصله،يمنع من ظهور حركته،اشتغال المحل بكسرة حرف الجر الزائدة وباستقراء ما في القرآن الكريم من خبر ليس وما، يلقانا اطراد وقوع هذه الباء المقول

بزيادتهما في خبرهما المفرد غير مؤول، لم تتخلف إلى في بضع آيات لها سياقها الخاص الذي يوجه إلى الاستغناء عن الباء1.

و لا يهون القول بأن الباء حرف جر زائد ، إذ مقتضى القول بزيادتها إمكان الاستغناء عنها ، و هو ما لا يأنس إ ليه البيان القرآني.

و النحويون من المفسرين , يذهبون إلى أن الباء زائدة لتأكيد النفي.2

و نقول إن الآية لا تؤخذ بمعل عن نظائرها, و الذي تطمئن إليه في هذا التدبر لما استقرأنا من

1_التفسير البياني للقران الكريم_ج1_46_47

2_الأعجاز البياني للقران_ص181

3_ الكشاف_ج4_141

هذا الأسلوب في القرآن , وهو أن الباء تأتي في خبر المنفي بما أو ليس, فتجعله جحدا أو إنكارا:

- "وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم" (النمل/81).
- "ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد" (ق /29).
- " وما الله بغافل عما تعملون"(البقرة/74).
- " وما جعلناك عليهم حفيظا وما آنت علهم بوكيل" (الأنعام/107).
- " و أن الله ليس بظلام للعبيد"(آل عمران/182).
- "فليس بمعجز في الأرض " (الاحقاف/32).
- و لستم بآخذيه " (البقرة/267).
- " و ليس بضارهم شيئا" (المجادلة/10) .
- و "من لستم له برازقين" (الحجر/20).
- " لست عليهم بمصيطر" (الغاشية/22).

{قل لست عليكم بوكيل} [الأنعام/66]

فإذا جاءت الباء في خبر المنفي بأسلوب الاستفهام: (أليس؟..أليست) لم تكن لتأكيد النفي، بل تخرجه بيانا من النفي إلى تقرير ملزم وإثبات، وفي هذا الأسلوب تلزم الخبر الباء المقول بزيادتها، باستقراء كل آياتها:

- أليس هذا بالحق الأنعام/30
- أليس الله بعزيز ذي انتقام الزمر/37
- ألست بربكم الأعراف/172
- أليس الله بأحكم الحاكمين التين/8

وفي آية القلم، تأتي الباء في خبر المنفي بـــ (ما) فتصير به إلى إنكار.

ومثال ذلك قولها كذلك: "واختلفوا في التوجيه الإعرابي لنصب (ضبحا) [العاديات/01] فهو مصدر على تقدير (والخيل تضبح ضبحا) أو هو حال على تقدير (والعاديات ضابحة)، لكنهم لم يبينوا أثر كل من المصدرية أو الحالية على المعنى.

ولعل المصدرية هنا أولى بما فيها من معنى الإطلاق المحض1.

وتذكر في موضع آخر:وللغويين والمفسرين في إعراب جملة: { الذين طغوا في البلاد}[الفجر/11] ثلاث أوجه:

1. النصب على الاختصاص بالذم.
2. الرفع على تقدير مبتدأ محذوف: (هم الذين طغوا).
3. الجر على الوصف.

والأوجه الثلاثة تقبلها قواعد الصنعة الإعرابية، لكن البيان الأعلى لا يراها متماثلة، بل لابد أن يكون وجه واحد منها أقوى في المعنى، ونرى ربطه بالصلة على وجه الاتباع لما قبله، أولى من الاختصاص، ومن الخبرية التي تحتاج إلى تقدير مبتدأ محذوف بفصل الجملة عما قبلها بابتداء مستأنف.2

- بالإضافة إلى اهتمامها بالجانب البلاغي كجانب لغوي ثري بأسلوبيته وظواهره وبنائه للمعنى، ومثال ذلك ما ذكر عن سورة " الزلزلة " .

- أن آياتها قصار، وهذا القصر ملحوظ فيه القوة والجزم، بما يلقي في نفس السامع من جدية الموقف الحاسم وخطره، بحيث لا يحتمل الإطالة والتأني...

- وفيها مع ذلك، ظاهرة التكرار، والتكرار مألوف في مواقف الإطناب والإطالة، ولكنه حين يأتي في مواقف الإيجاز الحاسمة، يكون لافتا ومثيرا، ففي سورة " الزلزلة " ، على إيجازها وقصر آياتها، نجد التكرار في ثمانية مواضع، وهذه ظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم، يعمد فيها إلى التكرار مع الإيجاز والقصر ترسيخا وتقريرا وإقناعا، والدراسة النفسية قد انتهت

---

1 _نفسه_ج1ص102

2_نفسه_ج1ص147

بعد طول التجارب إلى أن مثل هذا الأسلوب هو أقوى أساليب الترسيخ والإقناع وأشد ما إيحاء بالحسم والجد.

وتذكر في مادة (زلزلة) من سورة " الزلزلة " ، وتقول : " وفي القرآن الكريم ، وردت المادة (زلزلة) فعلا ومصدرا ست مرات، ثلاثا منها في وصف يوم الهول الأكبر، وفي آية الزلزلة، وآية [الحج/01]: {يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم}.

وثلاثا في وصف موقف الشدة القاسية والذعر البالغ في هول الحرب بآيات [الأحزاب/11]: {إذ جاءوكم من فوقكم ومنت أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا}.

[البقرة/214] : {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمونا معه متى نصر الله}.

وفي المرات الثلاثة استعمل فيها الفعل، جاء ماضيا مبينا للمجهول. قال المفسرون : إن الفاعل حذف للعلم به، غير ملتفتين إلى أنها ظاهرة أسلوبية مطدة في أحداث اليوم الآخر، وقد شغلتهم الصنعة البلاغية عن الالتفات إلى ما في القرآن من أفعال لا تحصى، بنيت للمعلوم مسندة إلى الله تعالى، مع العلم بالفاعل يقينا، فهو سبحانه خلق السماوات والأرض، ونزّل القرآن على عبده، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء، والله يرزق من يشاء بغير حساب، ويعلم الغيب، والرحمن علم القرآن، خلق الإنسان علمه البيان... مما يؤنس إلى أن العلم بالفاعل ليس هو السر

البياني في بناء (زلزلت) للمجهول، وإنما هي كما قلنا آنفا ظاهرة أسلوبية: تطرد في مثل هذا الموقف، تركيزا للاهتمام في الحديث ذاته، وإيحاء بأن الأرض تزلزل عن طوعية، واستجابة لتسخير تلقائي ومجيء الفعل ماضيا تقرير لأنه حادث فعلا، وقد صدّر بـــ (إذا)، فصرفته إلى المستقبل دون أن يفقد التعبير أثره الذي يوحي به استعمال الماضي بدلا من المستقبل الصريح. 1

1_ نفسه ص179

أولا : قائمة المصادر:

1-القرآن الكريم رواية ورش عن الإمام نافع ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية، الجزائر 1984.

2-البخاري ، الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل :

صحيح البخاري ، بيت الأفكار الدولية ،ط (1419هـــ/1998م)

3-ابن الجزري ، الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي :

النشر في القراءات العشر ، ت/ علي محمد الصباغ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج1،[ب،ط]

4-ابن خالويه :

الحجة في القراءات السبع ،د، عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة [ب،ط]

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله:

5-البرهان في علوم القرآن ،ت/محمد أبو الفضل ابراهيم ،المكتبة العصرية ،صيدا

بيروت،ط2،[ب،ط]ج1 وج2

6-الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي :

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، دار المعرفة ،بيروت - لبنان ،[ب،ط]نج1وج4.

7-سيبويه، عمرو بن عثمان بن قلبر:

الكتاب ، إميل بديل يعقوب ، ت/دار المكتبة العلمية،بيروت – لبنان،ط1،

(1420هـ/1999م)ج2وج3

فهرس شواهد سيبويه،إميل بديع يعقوب،ت/دار المكتبة العلمية، بيروت – لبنان

ط1،(1420هـ/م1999)ج5.

8-السيوطي ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر :

الإتقان في علوم القرآن، محمد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية،صيدابيروت

،ط(1408ه/1988م)

ج1،وج2،وج4

9-الطبري أبي جعفر محمد بن جرير:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن تفسير الطبري ،[ب،ط]،ج1.

10-العسكري ،أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل:

الصناعتين- الكتابة والشعر، ت/د، مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية،بيروت

لبنان،ط2،(1404هـ/1984م)

11-العكبري ،أبي البقاء بن الحسين الإمام محب الدين النحوي :

النبيان في إراب القرآن ،ت/علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت- لبنان،ط 2،

(1407هـ/1987م)

12-القراء، أبي زكريا يحي بن زياد:

معاني القرآن ، ت/ أحمد يوسف لجاتي محمد علي النجار ، دار السرور ، ج1 ،[ب،ط].

13-ابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم الديتوري:

تأويل مشكل القرآن ،ت/السيد احمد صقر ، المكتبة العلمية ،[ب،ط].

14-الكساني ، علي بن حمزة:

معاني القرآن ،ت/عيسى شحاتة عيسى محمد علي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهر،ط1991م.

15-ابن النحاس،أبي جعفر أبي بن محمد إسماعيل :

إعراب القرآن ،ت/عبد المنعم خليل إبراهيم،دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط(1425هـ/2004)،ج1

16-منـــــا هل العرفان في علوم القرآن ،الزرقاني،دار الجريش، القاهرة، 2001

ثانيا قائمة المراجع

1. جبر حسن:

- بنت الشاطئ (الدكتورة عائشة عبد الرحمان محمد علي علد الرحمان الجسيني، ط1 – 2001م)

2. الجندي أنوار:

- الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، (ب.ط)

3. الخالدي صلاح عبد الفتاح:

- تعريف الدارسين بمنهاج المفسرين، دار القلم، دمشق، ط 1 (1423هـ - 2002م)

4. داود أحمد محمد علي:

- علوم القرآن والحديث، دار البشير، عمان، (ب.ط)

5. الدّجني فتحي عبد الفتاح:

- الإعجاز النحوي في القرآن الكريم، مكتبة الفلاح، ط 1 (1404هـ - 1984م)

6. دوب رابح:

- البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن 4 هجري، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة،ط1(1997م)

7. الذهبي محمد حسين:

- التفسير والمفسرون، ج1 ، (ب.ط)

8. الراجحي عبده:

- فقه اللغة في الكتب العربية ، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، (ب.ط)

9. شحاتة عيسى علي عيسى:

- الدراسات اللغوية للقرآن الكريم في أوائل القرن 3 الهجري، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط(2001) .

10. صالح عبد القادر محمد:

- التفسير والمفسرون في العصر الحديث، ت/د. محمد صالح الألوسي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط1 (1424هـ - 2003م).

11. الصديق محمد صالح:

- البيان في علوم القرآن، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (ب.ط).

12 . عائشة عبد الرحمن ،بنت الشاطئ:

- الإعجاز البياني في القرآن ، مكتبة الدراسات القرآنية ،دار المعارف، القاهرة ط2 [ب.ت]

13. ، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)

- التفسير البياني للقرآن الكريم الجزء الأول ، دار المعارف ،مصر ، 1990ط7

14. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)

- التفسير البياني للقرآن الكريم الجزء الثاني ، دار المعارف ،مصر ، 1990ط7

15. ابن عاشور محمد الطاهر :

- تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر، (تونس)، والمؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر)،ط(تونس

1984 م)، ج1

16.عبد الغفار السيد أحمد :

التفسير ومناهجه (النص وتفسيره)، دار المعرفة الجامعية ،ط(2001م)

17. أبو علي محمد بركات حمدي :

- مناهج وآراء في لغة القرآن،دار الفكر للنشر والتوزيع،ط(1984م)

18. عمر أحمد مختار:

- البحث اللغوي عند العرب ، عالم الكتب ، ط8(2003م)،ذ

19. القطان مناع:

- مباحث علوم القرآن ، مؤسسة الرسالة ، ط2 (1419هـ/1998م).

20. مكرم عبد العال سالم :

- اللغة العربية في رحاب القرآن ،ط1(1995م)

21. ياقوت محمود سليمان :

- فقه اللغة وعلم اللغة (نصوص ودراسات)، دار المعارف الجامعية ،ط(1995م)

22. الدكتور محمد عابد الجبري :

مدخل إلى القرآن الكريم ، الجزء الأول مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت، ط1،2006

23. محمد حسين فضل الله:

الاجتهاد بين أمر الماضي آفات المستقبل، المركز الثقافي العربي ، المغرب،ط1 2009.

24. سيد قطب:

نظرية التصوير الفني ، ، دار المنارة، جدة ، السعودية ط2-1984

25. د. عمار ساسي

الإعجاز ا لبياني في القرآن الكريم ، ، عالم الكتب الحديث، الأردن ط1،2007

ثالثا: قائمة المعاجم

1 -أنيس إبراهيم ، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي ،محمد خلق الله أحمد :

المعجم الوسيط ، دار المعارف ، القاهرة –مصر ،ط2(1393هـ/ 1973م)،ج2.

2 -عمر أحمد مختار ، أحمد العايد، أحمد مختار عمود، الجيلاني بن الحاج يحي ، داود

عبده، صالح جواد طعمـــــه، ندجيم مرعشلي:

المعجم العربي الأساسي، لاروس.

3 -ابن منظور ،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري:

لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر، [ب،ط]،ج5

رابعا: المواقع الإلكترونية

1 -موقع www.almeshkat.net (أبو عبيدة :مجاز القرآن)

2 -موقع www.islamonline.net (مقال: هبة رؤوف عزة، عائشة عبد الرحمن- بنت الشاطئ).

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات	الصفحة
مقدمة	
المدخل دور اللغة العربية في تفسير القرآن الكريم	5
تمهيد	5
الفصل الأول / القرآن الكريم	10
1. 1 تعريفه	10
2. 1 أوله وآخره	10

3. 1 القراءات القرآنية	11
4. 1 أشهر القراء	14
5. 1 الأحرف السبعة	18
6. 1 فواتح السور والإعجاز القرآني	22
1. 2 معاني ألفاظ القرآن الكريم	30
2. 2 إعراب القرآن الكريم	34
3. 2 النحو والقرآن الكريم	40
4. 2 الدرس البلاغي في القرآن الكريم	41
الفصل الثالث التفسير والمفسرون (قبل عائشة عبد الرحمن)	53
1. 3 مفهومه	53
2. 3 أسباب التفاوت بين التفاسير	58
3. 3 أنواعه	60
4. 3 منهج الأوائل في التفسير	98
5. 3 الاتجاهات المعاصرة	107
6. 3 المدارس الحديثة في تفسير القران الكريم	110

الفصل الرابع الاتجاه اللغوي في تفسير القران الكريم (عند عائشة عبد الرحمن)	116
1. 4 حياتها.	116
2. 4 إنتاجها الأدبي.	117
3. 4 التفسير البياني.	121
4. 4 المنهج.	129
• تطبيق المنهج.	130
الخاتمة .	142
قائمة المصادر و المراجع.	143
فهرس الموضوعات.	150